جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

القصص القرآني
ودفع ما أثير حوله من شبهات

بقلم الدكتور

السيد فاروق محمد عبد الرحمن

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بشبين الكوم- منوفية

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الثالث والثلاثون، لعام ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم 2014/6157

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾(١)

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾(٢)

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾(٣)(٤)

أما بعد

فإن القصص القرآني وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، لأن أكثر أسراره موجودة في القصص القرانى الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من

---

(١) سورة آل عمران آية رقم: ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية رقم: ١.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم: ٧٠،٧١.

(٤) هذه المقدمة تعرف بخطبة الحاجة وأخرجها أبو داود – كتاب النكاح – باب ما جاء في خطبة النكاح حديث رقم: ٢١١٨ ٢٥٩١/٢، والترمذي – كتاب النكاح – باب ما جاء في خطبة النكاح حديث رقم: ١١٠٥ ٤١٣/٣،٤١٤ وقال حديث حسن.

المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها، لا سيّما إن كانت بأسلوب شيِّق، وبيان رائق لها من التأثير والجاذبية مالا تبلغه أيّ وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية، فكيف إذا كانت بأسلوب ربانيٍّ معجز، له من الواقعية والصدق ودقة التصوير، ومِن السمَاتِ ما ليس لغيره.

يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي "وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول "**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كفواً أحد**"(١) وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول " **الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ المتكبر**"(٢).

وتارة يتعرف إليهم بأفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول " **لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ**"(٣) "**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ**"(٤) ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار فكن حريصاً

(١) سورة الإخلاص آية رقم: ١، ٢، ٣، ٤.

(٢) سورة الحشر آية رقم: ٢٣.

(٣) سورة الفجر آية رقم: ٦، ٧.

(٤) سورة الفيل آية رقم: ١.

على استنباطها ليكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه "(١)

ولأهمية القصص القرآني وباعتباره علما من علوم القرآن آثرت أن اكتب فيه بحثا أبذل فيه كل طاقتي لبيان ما يستنبط منه من عظات وعبر ولأدفع ما آثاره أعداء الإسلام ومن لف لفهم حوله من شبهات وجعلت عنوانه "**القصص القرآني ودفع ما أثير حوله من شبهات**"

وقسمته إلي مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة

فأما المقدمة: ففيها أهمية البحث وخطته.

وأما المبحث الأول فعنوانه: التعريف بالقصص القرآني وعلاقته بالتاريخ.

ويشتمل علي مطلبين:

المطلب الأول: تعريف القصص في اللغة، والاصطلاح.

المطلب الثانى: علاقة القصص القرآني بالتاريخ.

وأما المبحث الثاني فعنوانه: أقسام القصص القرآني، ومقاصده، ومميزاته.

ويشتمل علي ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقسام القصص القرآني.

المطلب الثاني: مقاصد القصص القرآني.

المطلب الثالث: مميزات القصص القرآني عن القصص الأدبي

وأما المبحث الثالث فعنوانه: أسلوب القرآن في ذكر القصص، وعناصر القصص القرآني، وآثار خضوعه للغرض الديني.

ويشتمل علي أربعة مطالب:

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين٤/٣٤٣ تأليف /الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥هـ الناشر/ دار المعرفة – بيروت.

المطلب الأول: ذكر القرآن الكريم للقصة الواحدة في أكثر من سورة ووجه الحكمة في ذلك.

المطلب الثاني: ذكر القرآن الكريم لبعض القصص في سورة واحدة ووجه الحكمة في ذلك.

المطلب الثالث: عناصر القصص القرآني.

المطلب الرابع: آثار خضوع القصص للغرض الديني.

وأما المبحث الرابع فعنوانه: دفع ما آثاره خصوم الإسلام حول قصص القرآن من شبهات.

وأما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج.

والله أسال أن يكون بحثي هذا نافعا لكل من قرأه أو نظر فيه وأن يرزقه القبول الحسن وأن يجعله في ميزان حسناتي أنا ومشايخي وكل من أطلع عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه

الدكتور

السيد فاروق محمد عبد الرحمن
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بشبين الكوم- منوفية

المبحث الأول

التعريف بالقصص القرآني وعلاقته بالتاريخ.

ويشتمل علي مطابين:

المطلب الأول: تعريف القصص في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثانى: علاقة القصص القرآني بالتاريخ.

المطلب الأول
تعريف القصص في اللغة والاصطلاح

تعريف القصص في اللغة: مأخوذ من قصصته قصاً من باب قتل قطعته ... وقصصت الخبر قصا حدثت به علي وجهه والاسم القصص بفتحتين.

والقص تتبع الأثر يقال قصصت أثره أي تتبعته. وقص آثارهم يقصها قصا وقصصا وتقصصها: تتبعها بالليل. وقيل: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء،

وقال بعضهم: القص البيان والقصص الاسم قال تعالي "**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**" (١)

والصحيح: هو تتبع الأثر في أي وقت كان، قال تعالي " **فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**"(٢)

والمعني: أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر أي يتتبعان آثار أقدامهما في الطريق الذي سارا فيه ولا يحدان عن آثار الأقدام عسي أن يرجعا إلي مكان الصخرة بسلام.

وقال تعالي "**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**"(٣) أي تتبعي أثره.

---

(١) سورة يوسف آية رقم:٣.

(٢) سورة الكهف آية رقم: ٦٤.

(٣) سورة القصص آية رقم:١١.

قال الأزهري([1]): القص إتباع الأثر يقال خرج فلان قصصاً في أثر فلان وقصاً وذلك إذا أقتص أثره. وقيل لمن يقص القصص قاص لإتباعه خبراً بعد خبر وسوقه الكلام سوقا.

والقاص: من يأتي بالقصة علي وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها.

والقصة: الأمر والحديث وقد اقتصصت الحديث رويته علي وجهه والقصص الخبر المقصوص

قال تعالي "**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**"([2])

وقال تعالي "**وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ** "([3]) وقال تعالي "**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ**"([4])

وقال تعالي "**فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**"([5])

وقال تعالي "**يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**"([6])([7])

---

(١) هو: أبو القاسم الأزهري، عبيد الله بن أحمد بن عثمان البغدادي الصيرفي الحافظ، كتب الكثير، وعني بالحديث. وروى عن ألقطيعي وطبقته، توفي في صفر، عن ثمانين سنة. ينظر: العبر في خبر من غبر٢/٢٧١ تأليف / الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ تحقيق / أبى هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) سورة آل عمران آية رقم:٦٢.

(٣) سورة القصص آية رقم:٢٥.

(٤) سورة الأعراف آية رقم:٧.

(٥) سورة الأعراف آية رقم:١٧٦.

(٦) سورة النمل آية رقم:٧٦.

(٧) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢/٣١٣ تأليف الإمام / أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى سنة ٣٩٣هـ. تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار=

وبعد تدبر الاشتقاق اللغوي للقصص:

يكون معني القصص في اللغة: الأخبار المتتبعة([1]) والكشف عن آثار مضت والتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها.

تعريف القصص القرآني في الاصطلاح:

للقصص تعاريف كثيرة لدى العلماء، منها:

ما ذكره الرازي بأنه " مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة "([2]).

وما ذكره الشيخ عبد الكريم الخطيب بأن لفظ القصص يطلق علي ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية، وما كان يقع في

= الناشر/ دار العلم للملايين – بيروت الطبعة / الرابعة سنة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م،ولسان العرب٣/١٠٢،١٠١ تأليف الإمام / محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي المتوفى سنة ٧١١هـ. الناشر/ دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة سنة ١٤١٤ هـ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/٥٠٥ تأليف الإمام / أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس المتوفى: نحو ٧٧٠هـ الناشر/ المكتبة العلمية – بيروت، والمفردات في غريب القرآن صـ٤٠٤ تأليف الإمام / أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ تحقيق / صفوان عدنان الداودي الناشر/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

(١) ينظر: المفردات صـ٤٠٤.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ٨/ ٨٣ –٨٤. تأليف / الإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى سنة ٦٠٦هـ. الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة/ الثالثة سنة ١٤٢٠ هـ

محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام([1])

والذي يبدو أن التعريف الاصطلاحي للقصص: هو إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وأشتمل القرآن علي وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكي عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه([2])

(١) ينظر: القصص الَقُرْآني في منطوقه ومفهومه ص٤٠. تأليف الشيخ / عبد الكريم الخطيب طبعة / بيروت، لبنان.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن صـ٣٠٦.

المطلب الثاني
علاقة القصص القرآني بالتاريخ

إن قصص القرآن الكريم لا يراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص، وإنما هي عبرة للناس. كما قال تعالى في سورة هود، بعد ما ذكر جانبا من سيرة الأنبياء (عليهم السلام) مع أقوامهم:

"وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ." (١)

ولذلك لا تذكر الوقائع والحوادث بالترتيب، ولا تستقصى فيذكر منها الطمّ(٢) والرمّ،(٣).

ويؤتى فيها بالجرّة وأذن الجرة(٤)، كما في بعض الكتب، التي تسميها الملل الأخرى مقدسة.... وليس المراد، بنفي كون قصص القرآن تاريخا، أنّ التاريخ

---

(١) سورة هود آية رقم: ١٢٠.

(٢) الطم: الماء الكثير وغيره ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٣٦/١ تأليف /محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ تحقيق / د. حاتم صالح الضامن الناشر/ مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة / الأولى سنة ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

(٣) والرم: ما كان باليا خَلَقا مما يُتَقَمَّمُ، واحدته: رمَّة. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٣٦/١.

(٤) الجرة: هي القلة ينظر: فقه اللغة وسر العربية صـ ٤٠ تأليف / الإمام عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ تحقيق / عبد الرزاق المهدي الناشر/ إحياء التراث العربي الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

شيء باطل ضارّ ينزه القرآن عنه. كلا. إن قصصه شذور من التاريخ تعلم الناس كيف ينتفعون بالتاريخ.

فمثل ما في القرآن من التاريخ البشري كمثل ما فيه من التاريخ الطبيعيّ من أحوال الحيوان والنبات والجماد، ومثل ما فيه من الكلام في الفلك، يراد بذلك كله التوجيه إلى العبرة والاستدلال على قدرة الصانع وحكمته لا تفصيل مسائل العلوم الطبيعية والفلكية التي مكن الله البشر من الوقوف عليها بالبحث والنظر والتجربة، وهداهم إلى ذلك بالفطرة وبالوحي معا "(١).

ويبين ابن الأثير فوائد التاريخ فيقول "وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِمَّنْ يَدَّعِي الْمَعْرِفَةَ وَالدِّرَايَةَ وَيَظُنُّ بِنَفْسِهِ التَّبَحُّرَ فِي الْعِلْمِ وَالرِّوَايَةِ يَحْتَقِرُ التَّوَارِيخَ وَيَزْدريهَا وَيُعْرِضُ عَنْهَا وَيَلْغِيهَا ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ غَايَةَ فَائِدَتِهَا إِنَّمَا هُوَ الْقِصَصُ وَالْأَخْبَارُ، وَنِهَايَةُ مَعْرِفَتِهَا الْأَحَادِيثُ وَالْأَسْمَارُ وَهَذِهِ حَالُ مَنِ اقْتَصَرَ عَلَى الْقِشْرِ دُونَ اللُّبِّ نَظَرُهُ، وَأَصْبَحَ مُخْشَلَبًا(٢) جَوْهَرُهُ، وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ طَبْعًا سَلِيمًا وَهَدَاهُ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عَلِمَ أَنَّ فَوَائِدَهَا كَثِيرَةٌ وَمَنَافِعَهَا الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْأُخْرَوِيَّةَ جَمَّةٌ

(١) ينظر: محاسن التأويل ٧٤/١ تأليف الإمام /محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ألقاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ تحقيق / محمد باسل عيون السود الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى سنة ١٤١٨ هـ.

(٢) مَخْشَلَبَا: وَهِي (خَرَزٌ بِيضٌ يُشَاكِل اللُّؤْلُؤَ) يَخْرُجُ من البَحْرِ، وَهُوَ أَقَلُّ قِيمَةً. وقَال الو احدي فِي شَرْحِ الدِّيوَان: هُوَ خَرَزٌ ولَيْسَت بِعَرَبِيَّة ولكنَّه اسْتَعْمَلَهَا عَلَى مَا جَرَت بِه، ويُرْوى،: مَشْخَلَبَا، وهما لُغَتَان للنَّبَطِ فِيمَا يُشْبِه الدُّرَّ مِن حِجَارَة البَحْر ولَيْسَ بِدُرّ. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس ٣/ ١٠٦ تأليف / محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ تحقيق / مجموعة من المحققين الناشر/ دار الهداية.

غَزِيرَةٌ، وَهَا نَحْنُ نَذْكُرُ شَيْئًا مِمَّا ظَهَرَ لَنَا فِيهَا وَنَكِلُ إِلَى قَرِيحَةِ النَّاظِرِ فِيهِ مَعْرِفَةَ بَاقِيهَا.

فَأَمَّا فَوَائِدُهَا الدُّنْيَوِيَّةُ فَمِنْهَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْفَى أَنَّهُ يُحِبُّ الْبَقَاءَ وَيُؤْثِرُ أَنْ يَكُونَ فِي زُمْرَةِ الْأَحْيَاءِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مَا رَآهُ أَمْسِ أَوْ سَنَهُ وَبَيْنَ مَا قَرَأَهُ فِي الْكُتُبِ الْمُتَضَمِّنَةِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وَحَوَادِثَ الْمُتَقَدِّمِينَ؟ فَإِذَا طَالَعَهَا فَكَأَنَّهُ عَاصَرَهُمْ، وَإِذَا عَلِمَهَا فَكَأَنَّهُ حَاضَرَهُمْ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمُلُوكَ وَمَنْ إِلَيْهِمُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ إِذَا وَقَفُوا عَلَى مَا فِيهَا مِنْ سِيرَةِ أَهْلِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ وَرَآهَا مُدَوَّنَةً فِي الْكُتُبِ يَتَنَاقَلُهَا النَّاسُ فَيَرْوِيهَا خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، وَنَظَرُوا إِلَى مَا أَعْقَبَتْ مِنْ سُوءِ الذِّكْرِ وَقَبِيحِ الْأُحْدُوثَةِ وَخَرَابِ الْبِلَادِ وَهَلَاكِ الْعِبَادِ وَذَهَابِ الْأَمْوَالِ وَفَسَادِ الْأَحْوَالِ اسْتَقْبَحُوهَا وَأَعْرَضُوا عَنْهَا وَاطَّرَحُوهَا. وَإِذَا رَأَوْا سِيرَةَ الْوُلَاةِ الْعَادِلِينَ وَحُسْنَهَا وَمَا يَتْبَعُهُمْ مِنَ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ بَعْدَ ذَهَابِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ وَمَمَالِكَهُمْ عَمَرَتْ وَأَمْوَالُهُمْ دَرَّتْ اسْتَحْسَنُوا ذَلِكَ وَرَغِبُوا فِيهِ وَتَابَرُوا عَلَيْهِ وَتَرَكُوا مَا يُنَافِيهِ هَذَا سِوَى مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ مَعْرِفَةِ الْآرَاءِ الصَّائِبَةِ الَّتِي دَفَعُوا بِهَا مَضَرَّاتِ الْأَعْدَاءِ وَخَلَصُوا بِهَا مِنَ الْمَهَالِكِ وَاسْتَصَانُوا نَفَائِسَ الْمُدُنِ وَعَظِيمَ الْمَمَالِكِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا غَيْرُ هَذَا لَكَفَى بِهِ فَخْرًا.

وَمِنْهَا: مَا يَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ التَّجَارِبِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْحَوَادِثِ وَمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ عَوَاقِبُهَا، فَإِنَّهُ لَا يَحْدُثُ أَمْرٌ إِلَّا قَدْ تَقَدَّمَ هُوَ أَوْ نَظِيرُهُ فَيَزْدَادُ بِذَلِكَ عَقْلًا وَيُصْبِحُ لِأَنْ يُقْتَدَى بِهِ أَهْلًا، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ حَيْثُ يَقُولُ شِعْرًا:

رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ ... فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعُ
فَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ ... إِذَا لَمْ يَكُ مَطْبُوعُ

كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ ... وُضَوْءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعُ(١)

يَعْنِي بِالْمَطْبُوعِ الْعَقْلَ الْغَرِيزِيَّ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ وَبِالْمَسْمُوعِ مَا يَزْدَادُ بِهِ الْعَقْلُ الْغَرِيزِيُّ مِنَ التَّجْرِبَةِ وَجَعَلَهُ عَقْلًا ثَانِيًا تَوَسُّعًا وَتَعْظِيمًا لَهُ، وَإِلَّا فَهُوَ زِيَادَةٌ فِي عَقْلِهِ الْأَوَّلِ.

وَمِنْهَا: مَا يَتَجَمَّلُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الْمَجَالِسِ وَالْمَحَافِلِ مِنْ ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ مَعَارِفِهَا وَنَقْلِ طَرِيفَةٍ مِنْ طَرَائِفِهَا فَتَرَى الْأَسْمَاعَ مُصْغِيَةً إِلَيْهِ وَالْوُجُوهَ مُقْبِلَةً عَلَيْهِ وَالْقُلُوبَ مُتَأَمِّلَةً مَا يُورِدُهُ وَيُصْدِرُهُ مُسْتَحْسِنَةً مَا يَذْكُرُهُ.

وَأَمَّا الْفَوَائِدُ الْأُخْرَوِيَّةُ:

فَمِنْهَا: أَنَّ الْعَاقِلَ اللَّبِيبَ إِذَا تَفَكَّرَ فِيهَا وَرَأَى تَقَلُّبَ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا وَتَتَابُعَ نَكَبَاتِهَا إِلَى أَعْيَانِ قَاطِنِيهَا، وَأَنَّهَا سَلَبَتْ نُفُوسَهم وَذَخَائِرَهُمْ وَأَعْدَمَتْ أَصَاغِرَهُمْ وَأَكَابِرَهُمْ فَلَمْ تُبْقِ عَلَى جَلِيلٍ وَلَا حَقِيرٍ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ نَكَدِهَا غَنِيٌّ وَلَا فَقِيرٌ، زَهَدَ فِيهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَأَقْبَلَ عَلَى التَّزَوُّدِ لِلْآخِرَةِ مِنْهَا، وَرَغِبَ فِي دَارٍ تَنَزَّهَتْ عَنْ هَذِهِ الْخَصَائِصِ وَسَلِمَ أَهْلُهَا مِنْ هَذِهِ النَّقَائِصِ، وَلَعَلَّ قَائِلًا يَقُولُ: مَا نَرَى نَاظِرًا فِيهَا زَهَدَ فِي الدُّنْيَا وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ وَرَغِبَ فِي دَرَجَاتِهَا الْعُلْيَا، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَمْ رَأَى هَذَا الْقَائِلُ قَارِئًا لِلْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَهُوَ سَيِّدُ الْمَوَاعِظِ وَأَفْصَحُ الْكَلَامِ يَطْلُبُ بِهِ الْيَسِيرَ مِنْ هَذَا الْحُطَامِ فَإِنَّ الْقُلُوبَ مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ.

---

(١) الأبيات للإمام علي كرم الله وجهه ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٣٤/٣ تأليف / الإمام أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري المتوفى سنة: ٧٣٣هـ الناشر/ دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة/ الأولى سنة ١٤٢٣ هـ.

وَمِنْهَا: التَّخَلُّقُ بِالصَّبْرِ وَالتَّأَسِّي وَهُمَا مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا رَأَى أَنَّ مُصَابَ الدُّنْيَا لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ نَبِيٌّ مُكَرَّمٌ وَلَا مَلَكٌ مُعَظَّمٌ بَلْ وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ عَلِمَ أَنَّهُ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ وَيَنُوبُهُ مَا نَابَهُمْ.

شِعْرًا: **وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ... غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ**(١)

وَلِهَذِهِ الْحِكْمَةِ وَرَدَتِ الْقَصَصُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ "**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** "(٢). فَإِنْ ظَنَّ هَذَا الْقَائِلُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ بِذِكْرِهَا الأحاديث وَالْأَسْمَارَ فَقَدْ تَمَسَّكَ مِنْ أَقْوَالِ الزَّيْغِ بِمُحْكَمِ سَبَبِهَا حَيْثُ قَالُوا: هَذِه " أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا"(٣).

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا قَلْبًا عَقُولًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَيُوَفِّقَنَا لِلسَّدَادِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.(٤)

ومنها: أنها تنقل السامع من واقع هو فيه إلي واقع آخر، يتخيله ويتصوره مشدودا إليه بسبب ما في القصة من حركة وتتابع وحوار وتسلسل يؤدي في النهاية إلي نتيجة تترقبها النفس، وتتطلع إليها.

---

(١) البيت لدريد بن الصمة. ينظر: جمهرة أشعار العرب ١/ ٤٦٨ تأليف / الإمام أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفى سنة: ١٧٠هـ حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي الناشر/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) سورة ق آية رقم: ٣٧.

(٣) سورة الفرقان آية رقم: ٥.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ ٩/١- ١١ تأليف /الإمام أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري الناشر/ دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الأولى سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

وهو علي حق فيما قال لأن القصة كما قال صاحب التحرير والتنوير هي: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم. (١)

واصطلح علماء الإسلام علي تسمية ما ذكره القرآن من الأحوال الحاضرة زمن نزوله بالسيرة ويدخل فيه جميع ما صح من أسباب النزول.

السر في تسمية هذه الأخبار قصصاً:

لأن القصص يدخل في مدلول كلمة خبر، ونبأ وقد استعمل القرآن الخبر والنبأ بمعني التحدث عن الماضي، وان كان القرآن الكريم وهو المعجز في نظمه من دقة وإحكام، استعمل النبأ والأنباء في الأحداث الماضية من زمن بعيد وذلك كما جاء في قوله (ﷻ) "**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ** "(٢) **وقال تعالي " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ**"(٣).

أما الخبر والأخبار: فقد استعمل في الكشف عن الوقائع حديثة العهد قال تعالي "**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** "(٤).

هل يصح إطلاق لفظ الحكاية علي القصص القرآني؟

لا يصح أن نطلق لفظ الحكاية علي هذا النوع من القصص، وذلك لأن الحكاية هي عبارة عن المحاكاة والوقوف علي ما جري فقط.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٦٤/١ تأليف الإمام /محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ الناشر / الدار التونسية سنة: ١٩٨٤ هـ.

(٢) سورة ص آية رقم: ٢١.

(٣) سورة الكهف آية رقم: ١٣.

(٤) سورة محمد (ﷺ) آية رقم: ٣١.

أما القصص: فإنه ينقلك بنفسك وعقلك ووجدانك إلي هذا الزمان الغابر لتعيش فيه فتأخذ العبرة والعظة(١).

قال الإمام السيوطي "قال الإمام أبو نصر القشيري(٢) في المرشد قال معظم أئمتنا لا يقال" كلام الله محكي" ولا يقال "حكي الله " لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه مثل، وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعني الأخبار"(٣).

ولمكانة علم القصص تناوله العلماء بالتصنيف.

فمن كتب التفسير التي اهتم مؤلفوها بالحديث عن القصص القرآني:

جامع البيان للإمام/ محمد بن جرير الطبري.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام / أحمد بن إبراهيم الثعلبي.

---

(١) ينظر: المرشد الوافي صـ ١٩٨،١٩٩.

(٢) هو: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي أبو نصر فقيه أصولي مفسر أديب ناثر ناظم من شيوخه إمام الحرمين، مات سنة ٥١٤هـ. ينظر: معجم المؤلفين ٢٠٧/٥. تأليف / الإمام عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي المتوفى سنة ١٤٠٨هـ الناشر/ مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ١٩٩/٤ تأليف / الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة سنة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، و تفسير الماتريدي " تأويلات أهل السنة " ٢٧٢/١ تأليف /محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـ تحقيق / د. مجدي باسلوم الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة/ الأولي سنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام / علاء الدين علي بن محمد الشيحي المعروف بالخازن.

تفسير القرآن العظيم للإمام / ابن كثير.

مفاتيح الغيب للإمام/ محمد فخر الدين الرازي.

ومن كتب التاريخ:

تاريخ الأمم والملوك للإمام / محمد بن جرير الطبري.

الكامل في التاريخ للإمام / أبي الحسن علي ألشيبي المعروف بابن الأثير.

البداية والنهاية للإمام / ابن كثير.

قصص الأنبياء للشيخ / عبد الوهاب النجار.

ومن الكتب المفردة التي اهتمت بتحليل منهج القصة في القرآن وإبراز خصائص القصص القرآني وبيان ما أثير حوله من قضايا وشبهات..

- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه للشيخ /عبد الكريم الخطيب.
- الفن القصصي في القرآن الكريم / لمحمد أحمد خلف الله.
- سيكولوجية القصة في القرآن للدكتور / التهامي نقرة.

ومن الفصول والمقالات:

- القصة في القرآن في كتاب التصوير الفني في القرآن للمرحوم الشيخ / سيد قطب.
- قصص القرآن المقدمة السابعة في الجزء الأول من تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.
- قصص القرآن في الناحية البيانية، وقصص القرآن لون من تصريف بيانه من كتاب المعجزة ألكبري للإمام / أبو زهرة.
- التربية بالقصة من كتاب منهج التربية الإسلامية للشيخ / محمد قطب.

- قصص الأنبياء من كتاب دراسات قرآنية للشيخ / محمد قطب أيضا.
- قصص القرآن من كتاب مباحث في علوم القرآن للشيخ / مناع القطان.
- القصة في القرآن من كتاب الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للدكتور/ محمد محمود حجازي وغير ذلك كثير(١).

(١) ينظر: بتصرف قصص القرآن الكريم ٧ــ ١١ للأستاذ الدكتور / الرفاعي محمد عبيد أستاذ ورئيس قسم التفسير بكلية الدراسات الإسلامية بالمنصورة الطبعة الأولي سنة ١٤٢٨هـ سنة ٢٠٠٧م.

المبحث الثاني

أقسام القصص القرآني، ومقاصده، ومميزاته.

ويشتمل علي ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقسام القصص القرآني

المطلب الثاني: مقاصد القصص القرآني

المطلب الثالث: مميزات القصص القرآني عن القصص الأدبي

المطلب الأول

أقسام القصص القرآني

للقصص القرآني تقسيمات متعددة من حيثيات مختلفة من حيث التناول لجانب واحد أو أكثر، ومن حيث الإجابة علي سؤال وجه إلي الرسول (ﷺ) وعدم السؤال، ومن حيث التسمية وعدمها، ومن حيث الطول والقصر، ومن حيث التمهيد والتعقيب، ومن حيث الانفراد وعدمه، ومن حيث ذكر القصة في سورة واحدة أو تفريق مواقفها في أكثر من سورة.

أولا: التقسيم من حيث التناول:

ينقسم القصص من حيث التناول إلي قسمين:

القسم الأول: قصص تناولت جانبا واحدا من حياة صاحب القصة، وكثيرا ما يكون هذا الجانب متعلقا بالدعوة وبنجاة المؤمنين، وهلاك الكافرين، كقصة هود وصالح وشعيب ولوط، ويونس (عليهم السلام) ويكون ذلك إنذارا للكافرين، وتبشيرا للمسلمين وتسلية لسيدنا رسول الله (ﷺ) وتثبيتا لفؤاده وقد يكون هذا الجانب متعلقا بجزئية من جزئيات الدعوة كقصة أيوب ولقمان.

القسم الثاني: قصص تناولت أكثر من جانب كما هو واضح في قصة موسي في سورة القصص، وقصة يوسف.

ثانيا: من حيث الإجابة علي سؤال وجه إلي الرسول [ﷺ] وعدم السؤال:

ينقسم القصص من حيث السؤال وعدمه إلي قسمين:

القسم الأول: قد يكون القصص بسؤال من الصحابة أو غيرهم يتضح هذا من أسباب النزول كقصة يوسف، وقصة أصحاب الكهف، أو التصريح به في

القصة نفسها كقول الله تعالي "**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا**"(١).

القسم الثاني: قصص أنزلت في القرآن العزيز بدون سؤال أو طلب لحكم وأسرار وأسباب يعلمها الله (ﷻ) وهذا هو الغالب والكثير في قصص القرآن.

ثالثا: من حيث التسمية وعدمها:

ينقسم القصص من حيث تسمية السورة وعدم تسميتها إلي قسمين:

القسم الأول: أحيانا تسمي السورة باسم القصة التي تناولتها ولم تتعرض إلا لذكرها كقصة يوسف، ونوح، وقصة الفيل.

وأحيانا تشغل القصة حيزا كبيرا من السورة فتسمي باسمها كسورة الكهف، ومريم، ولقمان.

وقد تسمي السورة باسم قصة ذكرت فيها وإن شغلت حيزا قليلا بالنسبة لمجموع السورة كسورة البقرة التي ذكرت فيها قصة البقرة لكنها لم تشغل فيها حيزا كبيرا. وسورة يونس كذلك ففيها حديث عن قصة يونس (عليه السلام)، وكذلك سورة الإسراء وهود وغير ذلك.

القسم الثاني: وأحيانا تذكر القصة ولا تسمي السورة باسمها كآدم وإسماعيل وموسي وغير ذلك"(٢).

رابعا: من حيث الطول والقصر:

ينقسم القصص من حيث هذا الاعتبار إلي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قصص طويلة كثيرة الورود في القرآن كقصة موسي (عليه السلام).

---

(١) سورة الكهف آية رقم: ٨٣.

(٢) ينظر: اللآليء الحسان صـ ٢٦٢،٢٦٣.

القسم الثاني: قصص قصيرة قليلة الورود مثل قصة إدريس، وأيوب، ويونس، وإلياس، ويعقوب.

القسم الثالث: قصص متوسطة كقصص آدم، ونوح، وهود، وصالح.

وقد تنطبق هذه الأقسام الثلاثة علي قصة واحدة تأتي طويلة في بعض المواضع، قصيرة في موضع آخر، متوسطة في موضع ثالث.

خامسا: من حيث التمهيد والتعقيب:

ينقسم القصص من حيث التمهيد والتعقيب إلي قسمين:

القسم الأول: قصص لها تمهيد بقليل من الكلام كقصص مريم، وعيسي،و زكريا، ويحي في سورة آل عمران حيث مهد لها بقوله سبحانه "**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**"(١) وقصة يوسف في سورة يوسف حيث مهد لها بقوله سبحانه " **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**"(٢).

وقصة زكريا في سورة مريم حيث مهد لها بقوله سبحانه " **ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**"(٣).

وقصص ليس لها تمهيد بل تساق سوقا مباشرا من ذلك جملة من القصص في سورة الأعراف، وهود، والعنكبوت، والمؤمنون، والصافات، والأنعام، وطه.

القسم الثاني: قصص جاء التعقيب في نهايتها أو في أثنائها بما يرشد إلي العبرة والعظة

---

(١) سورة آل عمران آية رقم: ٣٣.

(٢) سورة يوسف آية رقم: ٣.

(٣) سورة مريم آية رقم: ٢.

مثال ذلك: تعقيب قصة نوح (عليه السلام) في سورة هود قال تعالي" **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**"(١).

وتعقيب قصة موسي في سورة هود قال تعالي " **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ** "(٢) وتعقيب القصص المذكور في سورتي الشعراء، و القمر.

وقد تساق القصة بلا تعقيب ويترك أمر التعقيب للسامع ليستخلص ذلك بنفسه كما في قصة موسي في سورة الأعراف، وقصة إبراهيم في سورة إبراهيم، وقصص موسي، وداود، وسليمان، وصالح، ولوط، في سورة النحل.

سادسا: من حيث الانفراد وعدمه:

ينقسم القصص من حيث الانفراد وعدمه إلي قسمين:

القسم الأول: قصص منفرد عن غيره من القصص كقصة يوسف في سورة يوسف، وقصة نوح في سورة نوح، وقصة إبراهيم في سورة الأنعام.

القسم الثاني: قصص مساق مع غيره من القصص من ذلك سائر قصص سورة الأعراف، وهود، والحجر، والأنبياء، والشعراء، والصافات، والقمر.

سابعا: من حيث ذكر القصة في سورة واحدة أو تفريق مواقفها في أكثر من سورة:

ينقسم القصص من حيث التفرق وعدمه إلي قسمين:

---

(١) سورة هود آية رقم: ٤٩.

(٢) سورة هود آية رقم: ١٠٠.

القسم الأول: قصص مستوفاة في مكان واحد سواء تعلقت بجانب واحد أو أكثر من جانب فالأول كقصة ذي القرنين، وقصة أصحاب الفيل، والثاني كقصة يوسف (عليه السلام).

القسم الثاني: وزعت أحداثها في أكثر من سورة من سور القرآن وهذا القسم هو الغالب والكثير في قصص الأنبياء (عليهم السلام).

وللعلماء تقسيمات أخري للقصص القرآني باعتبارات أخري تظهر للقارئ لكتاب الله تعالي بأدنى تأمل "(١).

وهناك تقسيم آخر للقصص القرآني ينقسم فيه القصص إلى ثلاثة أنواع

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلي قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين كقصص نوح، وإبراهيم، وموسي، وهارون، وعيسي، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كغزوة بدر، وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين، وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب والهجرة والإسراء ونحو ذلك (٢).

---

(١) ينظر: النهج القويم في دراسة علوم القرآن بتصرف صـ١٩.

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن صـ ٣٠٦.

بيد أن النوع الثالث قد أعترض عليه بعض العلماء

فقال: "ومما يجب التنبه له أن الحوادث والكائنات التي حدثت وكانت إبان نزول القرآن وتحدث عنها كغزوات بدر، وأحد،والخندق، وتبوك، وحوادث أخري كثيرة عاناها رسول الله (ﷺ) يذكره القرآن،بها ويأخذ بيده في بيانها وحل إشكالاتها كحوادث الهجرة، والإفك، وزواجه بزينب بنت جحش([1]) (رضي الله عنها)، وما شاكل ذلك كله لا يعتبر في نظرنا من قصص القرآن في شيء والله تعالي يقول في هذا الصدد " **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا** "([2])([3]) ويقول "**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ**

---

(١) هي: زَيْنَب بنت جحش بْن رِئَاب بْن أَسد بْن خُزَيْمَة الْأَسدي حَلِيف بني عَبْد شمس زَوْجَة رَسُول اللَّه (ﷺ) وَأم الْمُؤمنِينَ مَاتَت سنة عشْرين بِالْمَدِينَةِ وَصلى عَلَيْهَا عمر بْن الْخطاب (رضي الله عنه) وَهِي أول نسَاء رَسُول اللَّه (ﷺ) وَفَاة بعده وَأمّهَا أُمَيْمَة بنت عَبْد الْمطلب وَزَيْنَب بنت جحش وَهِي أول من حملت ونعشت من النِّسَاء فِي هَذِه الْأمة وفيهَا نزل " **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ** " الْآيَة. ينظر: الثقات ٣/١٤٥،١٤٤ تأليف الإمام / محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي المتوفى سنة: ٣٥٤هـ طبع بإعانة / وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة / الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية الناشر/ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند الطبعة: الأولى سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م.

(٢) سورة طه آية رقم: ٩٩.

(٣) ينظر: النهج القويم في دراسة علوم القرآن الكريم صـ٦،٥ للدكتور / عبد الغني عوض ألراجحي ط/ ألبابي الحلبي بدون تاريخ.

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ"(١) وفي حديث النبي (ﷺ) لأصحابه عن القرآن قال " فيه نبأ من قبلكم، وحكم ما بينكم،وخبر ما بعدكم "(٢).

(١) سورة غافر آية رقم: ٧٨.

(٢) أخرجه الترمذي ــ كتاب ــ أبواب فضائل القرآن ــ باب ــ ما جاء في فضل القرآن ــ حديث رقم:٢٩٠٦ ٥/ ١٧٢ وقال عقبه هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ. " سنن الترمذي تأليف / محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى المتوفى سنة: ٢٧٩هـ تحقيق وتعليق / أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة / الثانية سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

المطلب الثاني
مقاصد القصص القرآني

مما لا شك فيه أن كل آية في كتاب الله (ﷻ) بل كل فقرة من آية وراءها الإصلاح لحال البشر عقيدة وسلوكا وفي شتي مجالات الحياة قال تعالي "**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**"(١) وقال تعالي " **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**"(٢).

وللقصص القرآني مقاصد سامية وأغراض حكيمة وفوائد متعددة تتناسب مع المقصد العام للقرآن الكريم وهو هداية البشرية إلي ما يصلحها في عاجلها وآجلها في معاشها ومعادها قال تعالي " **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** "(٣).

ومن هذه المقاصد:

١- إن فيه منهاج يتعلم منه الدعاة فالداعية الناجح يستمد دعوته من دعوة رسل الله تعالي فهم نبراس له يقتدي بهم وقد أمر الله رسوله (ﷺ) أن يقتدي بهم قال تعالي " **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ** "(٤).

قال الشيخ محمد الغزالي " القصص القرآني من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته ومزج تعاليمه بالقلوب، والقصص القرآني تاريخ

---

(١) سورة النحل آية رقم: ٨٩.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٩.

(٣) سورة يوسف آية رقم: ١١١.

(٤) سورة الأنعام آية رقم: ٩٠.

لسير الدعوة في الحياة وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر التاريخ ؟ وما هي العقبات التي اعترضتها ؟ وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله أوصدت عنها ؟ وكيف انتهي الصراع بين الغي والرشاد ؟

فالقرآن الكريم كتاب الدعوة وتاريخها، وفي تضاعيف السرد التاريخي لأخبار الأولين يزداد عرض الدعوة وضوحا ويستبين منهجها الذي تحدو البشرية إليه والذي لا يختلف وإن اختلفت العصور وكرت الدهور"(١).

وقال الدكتور / محمد السيد الوكيل " القصة من أبرز الأساليب القرآنية في الدعوة إلي الله ومعالجة المشكلات، فهي أسلوب أخّاذ يستحوذ علي القلوب ويسيطر علي النفوس ويهيئ العقول لحسن التلقي فتذعن له في يقين، وتسلم بالنتائج في رضا وثقة، حتى إنك وأنت تقرأ القصة أو تستمع إليها يخيل إليك أنها تعالج واقعا تعيش فيه ويعيش معك فيه المجتمع الذي أنت جزء منه، ذلك لأن مشكلات العالم مهما تباينت الأزمنة، ومهما اختلفت البيئات، ومهما تغيرات الظروف تكاد تكون واحدة، غير أنها تتكرر في صور شتي، لتعطي المشكلة حجمها الطبيعي في البيئة والظروف التي تتكرر فيها، ومن هنا كان قصص القرآن الكريم للعبرة لا للتسلية "(٢).

٢- إن فيه تقرير عقيدة التوحيد وهي عقيدة جميع الأنبياء من لدن آدم (عليه السلام) وحتى خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال تعالي " **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ**

(١) ينظر: نظرات في القرآن الكريم صـ ١١٠ لفضيلة الشيخ محمد الغزالي (~) ط / دار الكتب الحديثة الطبعة الخامسة.

(٢) ينظر: نظرات في أحسن القصص ١/ ٨ د/ محمد السيد الوكيل ط/ دار القلم بسوريا الأولي سنة ١٤١٥هـ.

رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(١).

وقال تعالي "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا "(٢).

وقال تعالي " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ"(٣).

وقال تعالي " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِي "(٤).

---

(١) سورة آل عمران آية رقم: ٨١،٨٢،٨٣،٨٤.

(٢) سورة النساء آية رقم: ١٦٣،١٦٤،١٦٥.

(٣) سورة النحل آية رقم: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء آية رقم: ٢٥.

وقال تعالي" **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** "(١) فالدين واحد، والرسالة واحدة، والمنبع واحد، والمشكاة واحدة والسلسلة متصلة الحلقات من آدم (عليه السلام) حتى سيدنا محمد (ﷺ).

٣- من مقاصد القصص القرآني تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم قال صاحب التحرير والتنوير "أن من الشريعة معرفة تاريخ سلفها في التشريع من الأنبياء بشرائعهم فكان اشتمال القرآن علي قصص الأنبياء وأقوامهم تكليلا لهامة التشريع الإسلامي بذكر تاريخ المشرعين قال تعالي "**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** " (٢)(٣).

٤- من مقاصد القصص القرآني إثبات بشرية الرسل فمع اصطفائهم وتفضلهم علي سائر خلق الله إلا أنهم بشر وليسوا ملائكة وفي هذا تقوية وتثبيت للنبي محمد (ﷺ) ورد ضمني علي المكذبين المعاندين من قريش الذين حاولوا نفي نبوته لأنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

قال تعالي "**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا**"(٤) وقال تعالي " **وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا**"(٥) وقال تعالي "**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ**

(١) سورة الأحزاب آية رقم: ٧.

(٢) سورة آل عمران آية رقم:١٤٦.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٦٥/١.

(٤) سورة الفرقان آية رقم: ٧.

(٥) سورة الفرقان آية رقم:٤١.

الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا"(١).

فحينما عرض القرآن قصص القرآن تبين لكل جاحد أو غافل أن الرسول إنما يكون من جنس بني آدم فهو رجل اصطفاه الله (ﷻ) بوحي إليه وفي هذا تأكيد ودلالة علي رسالة خاتم المرسلين ورد ضمني علي كفار مكة حينما أنكروا نبوة الرسول (ﷺ) لأنه بشر وليس بملك(٢).

٥- من مقاصده أيضا تثبيت قلب رسول الله (ﷺ) وقلوب الأمة المحمدية علي دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل وأهله قال تعالي "**وَكُلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** "(٣)(٤).

٦- من مقاصده أيضا ترتب المسببات علي أسبابها في الخير والشر والتعمير والتخريب لتقتدي الأمة وتحذر قال تعالي " **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** "(٥) وما فيها من فائدة ظهور المثل العليا في الفضيلة وذكاء النفوس أو ضد ذلك.

٧- من مقاصد القصص القرآني أن قصارى علم أهل الكتاب في ذلك العصر كان معرفة أخبار الأنبياء وأيامهم وأخبار من جاورهم من الأمم، فكان اشتمال القرآن علي تلك القصص التي لا يعلمها إلا الراسخون في العلم من أهل

---

(١) سورة الفرقان آية رقم:٢٠.

(٢) ينظر: المرشد الوافي في علوم القرآن صـ ٢١٢،٢١٣.

(٣) سورة هود عليه السلام آية رقم: ١٢٠.

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن صـ ٣٠٧.

(٥) سورة النمل آية رقم: ٥٢.

الكتاب تحديا عظيما لأهل الكتاب، وتعجيزا لهم بقطع حجتهم علي المسلمين قال تعالي " **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** "(١) فكان حملة القرآن أحقاء بأن يوصفوا بالعلم الذي وصفت به أحبار اليهود وبذلك انقطعت صفة الأمية عن المسلمين في نظر اليهود، وانقطعت ألسنة المغرضين بهم بأنهم أمة جاهلية(٢).

٨- من مقاصده أيضا مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدي وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل والكتمان وبيان القول الفصل فيما اختلفوا فيه والإجابة علي تساؤلاتهم وتفنيد مزاعمهم وشبهاتهم قال تعالي " **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**"(٣)

وقال تعالي "**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** "(٤) وقال تعالي " **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** "(٥).

---

(١) سورة هود (عليه السلام) آية رقم:٤٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٦٦،٦٥/١. سورة آل عمران آية رقم: ٩٣.

(٣) سورة آل عمران آية رقم: ٩٣.

(٤) سورة الأنعام آية رقم: ٩٢،٩١.

(٥) سورة النمل آية رقم: ٧٦.

٩- من مقاصده معرفة أن قوة الله تعالي فوق كل قوة وأن الله ينصر من ينصره وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء من الاستعداد والاعتماد، سلموا من تسلط غيرهم عليهم، وذكر العواقب الصالحة لأهل الخير، وكيف ينصرهم الله تعالي كما في قوله تعالي " **فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**"(١).

١٠- من مقاصده بيان العبرة والعظة للمشركين بما لحق الأمم التي عادت رسلها وعصت أوامر ربها حتى يرعووا عن غلوائهم، ويتعظوا بمصارع نظرائهم وآبائهم، وكيف يورث الأرض أولياءه وعباده الصالحين قال تعالي "**فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**"(٢) وقال تعالي " **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ** "(٣) وقال تعالي "**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ** سورة هود (عليه السلام) آية رقم: ١٢٠

الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ "(٤) وهذا في القصص الذي يذكر فيها ما لقيه المكذبون للرسل كقصص: قوم نوح، وعاد، وثمود، وأهل الرس، وأصحاب الأيكة.

١١- إن في حكاية القصص سلوك أسلوب التوصيف والمحاورة وذلك أسلوب لم يكن معهوداً للعرب فكان مجيئه في القرآن ابتكار أسلوب جديد من البلاغة العربية شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من أعجاز القرآن إذ لا

(١) سورة الأنبياء آية رقم: ٨٧،٨٨.
(٢) سورة الأعراف آية رقم: ١٧٦.
(٣) سورة يوسف (عليه السلام) آية رقم: ١١١.
(٤) سورة الأنبياء آية رقم: ١٠٥.

ينكرون أنه أسلوب بديع ولا يستطيعون الإتيان بمثله إذ لم يعتادوه، انظر إلي حكاية أحوال الناس في الجنة والنار والأعراف في سورة الأعراف. (١)

قال الإمام ألقاسمي: قيل التأثير بالأخبار عن الوقائع أتم لسماعها من التأثير بغيرها فمن ثم قيل: الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب العارفين، قيل فهل تجد لذلك شاهدا من كتاب الله ؟ قال " **وَكُلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ** "(٢) ووجه ذلك أن شاهد الحقيقة بالفعل أظهر وأقوي في الانفعال من شاهدها اللغوي إذ مادة الفاعل مستمرة في الفعل لغابر الدهر. (٣)

١٢- إن العرب بتوغل الأمية والجهل فيهم أصبحوا لا تهتدي عقولهم إلا بما يقع تحت الحس، أو ما ينتزع منه ففقدوا فائدة الاتعاظ بأحوال الأمم الماضية وجهلوا معظمها وجهلوا أحوال البعض الذين علموا أسماءه فأعقبهم ذلك أعراضا عن السعي لإصلاح أحوالهم بتطيرها مما كان سبب هلاك من قبلهم، فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها قال تعالي مشيرا إلي غفلتهم قبل الإسلام " **وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ**"(٤).

١٣- تعويد المسلمين علي معرفة سعة العالم وعظمة الأمم والاعتراف لها بمزاياها حتى تدفع عنهم.

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٦٦،٦٧.

(٢) سورة هود أية رقم: ١٢٠.

(٣) ينظر: محاسن التاويل١/٣٠.

(٤) سورة إبراهيم آية رقم: ٤٥.

وصمة الغرور كما وعظهم قوله تعالي عن قوم عاد "**وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**"(١) فإذا علمت الأمة جوامع الخيرات وملائمات حياة الناس تطلبت كل ما ينقصها مما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها.

١٤- من مقاصد القصص أن ينشي في المسلمين همة السعي إلي سيادة العالم كما سادة أمم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب إذ من العزة باغتيال بعضهم بعضا فكان منتهي السيد منهم أن يغنم صريمة ومنتهي أمل العامي أن يرعى غنيمة وتقاصرت همهم عن تطلب السيادة حتى آل بهم الحال إلي أن فقدوا عزتهم فأصبحوا كالأتباع للفرس والروم، فالعراق كله واليمن كله وبلاد البحرين تبع لسيادة الفرس، والشام ومشارقه تبع لسيادة الروم وبقي الحجاز ونجد لا غنية لهم عن الاعتزاز بملوك العجم والروم في رحلاتهم وتجارتهم(٢).

١٥- من مقاصد القصص أن يحصل منه بالتبع فوائد في تاريخ التشريع والحضارة وذلك يفتق أذهان المسلمين للإمام بفوائد المدينة كقوله تعالي " **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** "(٣) في قراءة من قرأ دين بكسر الدال، أي في شرع فرعون يؤمئذ، فعلمنا أن شريعة القبط كانت تخول استرقاق السارق وقوله " **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ** "(٤) يدل علي أن شريعتهم ما كانت تسوغ أخذ البدل في

---

(١) سورة فصلت آية رقم: ١٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٦٧/١.

(٣) سورة يوسف آية رقم: ٧٦.

(٤) سورة يوسف آية رقم: ٧٩.

الاسترقاق، وأن الحر لا يملك إلا بوجه معتبر. ونعلم من قوله تعالي "**وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**"(١).

وقوله تعالي" **فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** "(٢) أن نظام مصر في زمن موسي إرسال المؤذنين والبريد بالإعلام بالأمور المهمة، ونعلم من قوله تعالي "**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ** "(٣) أنهم كانوا يعلمون وجود الاجباب في الطرقات وهي آبار قصيرة يقصدها المسافرون للاستسقاء منها وقول يعقوب " **وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ** "(٤) أن بادية الشام إلي مصر كانت توجد بها الذئاب المفترسة وقد انقطعت منها اليوم(٥).

١٦- من مقاصد القصة إن بعض العلماء جعلها شرط من شروط المفسر قال ولي الله الدهلوي(٦) في أصول التفسير في فضل الكلام علي معرفة أسباب النزول شرط المفسر: أمران:

---

(١) سورة الشعراء آية رقم: ٣٦.

(٢) سورة الشعراء آية رقم: ٥٣.

(٣) سورة يوسف آية رقم: ١٠.

(٤) سورة يوسف آية رقم: ١٣.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٦٣/١.

(٦) هو: أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بشاه ولي الله الدهلوي، الهندي، العمري، الحنفي أبو عبد العزيز عالم مشارك في بعض العلوم. ولد، وتوفي بدلهي. سنة ١١٧٦هـ من مؤلفاته: فتح الخبير بما لابد من حفظه في التفسير، حجة الله البالغة، الإنصاف في بيان سبب الاختلاف، عقيد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، والفوز الكبير في أصول التفسير.ينظر: معجم المؤلفين ٢٧٢/١.

الأول: ما تعرض له الآيات من القصص فلا يتيسر فهم الإيمـــاء بتلـــك إلا بمعرفة تلك القصص.

والثاني: ما يخصص العام من القصة أو مثل ذلك من وجوه صرف الكلام عن الظاهر فلا يتيسر فهم المقصود من الآيات بدونها(١).

١٧- من مقاصد القصة أن لها تفسيرا نفسيا في غرس القيم التي أتي بهـــا القرآن في العقول وهي احدي عوامل التربية في القديم والحديث وكـــل رجـــال التربية لا ينكرون ما للقصة من آثار في نفوس السامعين، والقصة قديمة نـــشأت مع نشأة الإنسان وتابعته في حياته الأولي وإن كانت تختلف مـــن عـــصر إلـــي عصر ومن بيئة إلي أخري، وكل أمة من الأمم لها تاريخها الحافل بالقصة التي تسجل الأحداث وتوجدها إن لم تكن موجودة وفي العصر الراهن تلجـــا بعـــض وسائل الإعلام في كثير من الدول إذا رغبت في تكوين رأي عام عند الشعوب إلي الاستعانة بالقصة وأشكالها وألوانها وما يكون فيها من مواقـــف ومفاجـــآت. فتنجح حيث تخفق الوسائل الأخرى.. بل إن الكثير من المذاهب كانت مطمـــورة لا يسمع بها أحد، وجافة لا يقبل عليها إنسان حتى قدمت في قصص وروايـــات فاقبل عليها العامة، وتهافت عليها الناس وأصبحت في فترة قصيرة من الفترات شغل الناس الشاغل... والقرآن الكريم فيه مجموعة من القصص جاءت لأمـــور جوهرية أرادها الله (ﷻ) ومن أولي هذه الأمور تربية الأمة الإسلامية وتنـــشئة هذا الجيل الذي نزل في عهده القرآن، وما يأتي بعده من أجيال إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها علي عظائم الأمور واطرح سفا سفها(٢).

---

(١) ينظر: محاسن التأويل١/ ٣١.

(٢) ينظر: منهج القرآن في تربية الرجال صـــ١٧٣،١٧٤ تأليف / عبد الرحمن عميرة، نشر / مكتبة ومطبعة عكاظ الأولي سنة ١٤٠١هـــ سنة ١٩٨١م.

١٨- إن في دراسة القصص القرآني نري المشاهد والأخبار كأنما نراها رأي العين فنؤمن بها فتحصل لنا فضيلة الإيمان بالغيب ويتسنى لنا أن نكون شهداء علي الناس كما قال (ﷻ) " **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** "(١) ونستطيع أن نجادل عن رسل الله الأطهار وندفع افتراء من يفتري عليهم وكان الرسول (ﷺ) أسوة للمسلمين حيث قال " نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب ارني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي "ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلي ركن شديد ولو لبثت بالسجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي"(٢).

١٩- إن في كل قصة من القصص عبرا تتناسب مع خصوص المعاني التي سيقت في خصوص هذه القصة، فلقصة آدم عبرها وأسرارها وهكذا دواليك ما من قصة بل ما من آية في قصة إلا وفيها ميدان تتباري فيه العقول والإفهام لاستخلاص العبر والعظات كما قال تعالي في سورة يوسف " **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**"(٣)(٤).

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ــ كتاب أحاديث الأنبياء ــ باب ــ قوله تعالي ــ "وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ" حديث رقم:٣٣٧٢ ١٤٧/٤.

(٣) سورة يوسف آية رقم: ١١١.

(٤) ينظر: أزاهير من رياض علوم القرآن، صـ ٣٨ للأستاذ الدكتور / شحات حسيب الفيومي عميد كلية أصول الدين بالمنوفية مطبعة الوفاء بشبين الكوم.

المطلب الثالث

مميزات القصص القرآني عن القصص الأدبي

امتاز القصص القرآني عن غيره من القصص الأدبي بميزات متعددة

١- إن القصة القرآنية لم تسق مساق الأحماض(١) وتجديد النشاط، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر، لان غرض القرآن اسمي وأعلي من هذا، ولو كان من هذا لساوى كثير من قصص الأخبار الحسنة الصادقة فما كان جديرا بالتفضيل علي كل جنس القصص قال تعالي "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ "(٢).

٢- إن القرآن الكريم يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة علي مقامات تناسبها.

٣- إن القصص القرآني نسج نظمه علي أسلوب الإيجاز ليكون شبهه بالتذكير أقوي من شبهه بالقصص مثال ذلك قوله تعالي في سورة القلم " **فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** "(٣) فقد حكيت مقالته هذه في موقع تذكيره أصحابه بها لأن ذلك محز حكايتها ولم تحك أثناء قوله " **إِذْ أَقْسَمُوا**

---

(١) الأحماض: من أحمض القوم أفاضوا فيما يؤنسهم. ينظر: تهذيب اللغة ١٣٢/٤.

(٢) سورة يوسف آية رقم: ٣.

(٣) سورة القلم آية رقم: ٢٦،٢٧،٢٨،٢٩.

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ "(١) وقوله " **فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ**"(٢).

٤- إن القصص القرآني يمتاز بطي ما يقتضيه الكلام الوارد كقوله تعالي في سورة يوسف "**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ**" فقد طوي ذكر حضور سيدها وطرقه الباب وإسراعها إليه لفتحه، فإسراع يوسف ليقطع عليها ما توسمه فيها من المكر به لتري سيدها أنه أراد بها سوءا، وإسراعها هي لضد ذلك لتكون البادئة بالحكاية فتقطع علي يوسف ما توسمته فيه من شكاية فدل علي ذلك ما بعده من قوله تعالي"**وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا**"(٣).

٥- إن القصص القرآني بث بأسلوب بديع إذ سيق في مظان الاتعاظ بها مع المحافظة علي الغرض الأصلي، الذي جاء به القرآن من تشريع وتفريع(٤) وهو يعتمد أساسا علي الأحداث ولا يهتم كثيرا بالأشخاص بخلاف القصص التاريخي فهو يوجه عنايته للشخص أكثر من عنايته بالحادثة.

٦- إن القصص القرآني يركز علي بيان عقيدة التوحيد والبرهان عليها وذلك أسلوب قصصي معجز ففي سياق القصة تأتي الدلائل الواضحة علي وحدانية الله وإرادته وبالتالي إثبات أن العبودية لا تكون إلا له، فلا معبود سواه نجد ذلك واضحا فيما قصه الله (ﷻ) عن يوسف

---

(١) سورة القلم آية رقم: ١٧.

(٢) سورة القلم آية رقم:٢١،٢٢.

(٣) سورة يوسف آية رقم: ٢٥.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير بتصرف ١/٦٤،٦٥.

(عليه السلام) فها هو في السجن يدعوا إلي الله الواحد الأحد ويجعل سلواه في هذه المأساة الدعوة إلي الوحدانية يقول الله (سبحانه وتعالى) حكاية لما قاله يوسف لصاحبه في السجن " **قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبِيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**"(١) ويقيم الحجة الساطعة والآية القاطعة التي تشهد علي صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما جاء به وكل قصة قرآنية تعد دليلا واضحا علي نبوته (صلى الله عليه وسلم) قال تعالي في سياق الحديث عن مريم (عليها السلام) " **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**"(٢) وقال تعالي في سورة هود بعد أن ذكر قصة نوح (عليه السلام) " **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** "(٣) وقال تعالي في سورة يوسف (عليه السلام) " **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** "(٤) وفي سورة القصص يقول (عز وجل) في مستهلها "**طسم تِلْكَ**

(١) سورة يوسف آية رقم: ٣٧،٣٨،٣٩،٤٠.

(٢) سورة آل عمران آية رقم: ٤٤.

(٣) سورة هود (عليه السلام) آية رقم: ٤٩.

(٤) سورة يوسف (عليه السلام) آية رقم: ١٠٢،١٠٣.

آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(١) وفي ختام قصة موسي مع فرعون يقول الله (ﷻ) "**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنْ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** "(٢).

بينما القصص البشري لا يهدف إلي تلك الأهداف النبيلة.

٧- إن القصص القرآني اشتمل علي المعجزات والخوارق، ولا عجب في ذلك فكل رسول يبعثه الله لابد له من معجزة تشهد علي صدقه. والإنسان عادة وخاصة في مرحلة نضجه الفكري يتأثر كثيرا بالمعجزات وخوارق العادات. لذلك كثيرا ما نجد قصص الأنبياء والرسل فيها حديث عن معجزة. فهذا نوح وسفينته تسبح في الطوفان وهذا إبراهيم وهو في وسط النار بعد أن جعلها الله بردا وسلاما عليه، وهذه المعجزات دليل قاطع علي حفظ الله ورعايته لرسله.

٨- إن القصص القرآني واقعي له واقع فيما سبق وأحداثه التي ذكرت كان لها وقعها والشخصيات التي دار حولها القصص كان لها وجود.

أما القصص البشري فجله من خيال البشر أي من خيال كاتبه وليس له في عالم الواقع وجود.

٩- إن القصص القرآني يتسم بالعفة والبعد عن إثارة الشهوة أو الغريزة فلا يثير القارئ بل يجعله يقف في خشوع وسكينة فهو ينأى بألفاظه عن الألفاظ العارية الفاضحة.

---

(١) سورة القصص آية رقم: ١،٢،٣.

(٢) سورة القصص آية رقم: ٤٤،٤٥،٤٦.

أما القصص البشري فان من ألفوه يعمدون إلي ألفاظ تثير الغريزة وتحرك القارئ فتجعله مضطرب النفس ربما بعد القراءة يحاول تقليد أو تطبيق ما قرأه.

١٠- القصص القرآني يهدف إلي إبراز الأمانة ويرشد إلي الأمن.

بينما القصص الإنساني يتمثل في القصص البوليسي يسوق أساليب اللصوص المختلفة في كيفية السرقة والسطو والقتل فبعض القراء يقوم بتطبيق ذلك عندما يقرأ هذا القصص.

١١- إن الذي يقرأ القصص القرآني يثاب علي قراءته ويكون له في ميزان حسناته لأنه قرأ كلام ربه ويكون مع الملائكة قال (ﷺ) " الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة.

والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق(١) له أجران "(٢) أما قراءة القصص البشري فهو مضيعة للوقت واستهلاك للعمر فيما لا يفيد.

١٢- إن الذي يقرأ القصص القرآني ويتبحر فيه ينهل من فيض لغته وبلاغته وفصاحته فتجد قمة البلاغة في قوله (ﷻ) عن نملة سليمان حين مر علي وادي النمل فتكلمت نملة وقالت " **يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** "(٣).

---

(١) "يتعتع": يتردد عليه قراءته "شاق ": ثقيل علي اللسان ينظر: صحيح مسلم ١/ ٥٤٩ " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) تأليف/ الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) أخرجه مسلم ــ كتاب ــ باب فضل الماهر بالقرآن ــ حديث رقم: ٢٤٤ ١/ ٥٤٩.

(٣) سورة النمل آية رقم: ١٨.

فهذه الآية جمعت كثيرا من الأساليب البلاغية وكانت النملة في غاية البلاغة نادت وكنت ونبهت وسمت وأقرت وقصة وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت فالنداء "**يا**" والكناية "**أي**" والتنبيه "**ما**" والتسمية "**النمل**" والأمر "**ادخلوا**" والقصص "**مساكنكم**" **والتحذير** "**لا يحطمنكم**" والتخصيص "**سليمان**" والتعميم بعد التخصيص "**جنوده**" والإشارة "**وهم**" والعذر "**لا يشعرون**" فأفادت حقوقا متعددة حق الله وحق رسوله وحق رعيتها وحق جنود سليمان(١).

(١) ينظر: بتصرف المرشد الوافي صـ٢٠٤،٢٠٥،وأزاهير من رياض علوم القرآن صـ ٤٤،٤٥.

المبحث الثالث
أسلوب القرآن الكريم في ذكر القصص
وعناصر القصص وآثار خضوعه للغرض الديني

ويشتمل علي المطالب الآتية:

المطلب الأول: ذكر القرآن الكريم للقصة الواحدة في أكثر من سورة ووجه الحكمة في ذلك.

المطلب الثاني: ذكر القرآن الكريم لبعض القصص في سورة واحدة ووجه الحكمة في ذلك.

المطلب الثالث: عناصر القصص القرآني.

المطلب الرابع: آثار خضوع القصص للغرض الديني

المطلب الأول

ذكر القرآن الكريم للقصة الواحدة في أكثر من سورة ووجه الحكمة في ذلك

ذكر القصص القرآني في أكثر من سورة سمة من سمات القرآن البارزة ودليل قاطع علي بلاغة النظم القرآني وإعجازه فمن خصائص البلاغة إبراز المعني الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب ولا يمل الإنسان من تكرارها بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى لأن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله أو إبدال كلمة بأخرى وهذه عادة البلغاء،وكذلك في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفي من الفصاحة.

والحكم والأسرار في ذكر القرآن الكريم للقصة الواحدة في أكثر من سورة كثيرة منها:-

١- بيان إن القرآن الكريم بلغ أعلي قمة في البلاغة فإن تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل علي البليغ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز واستعارات أو كناية، وتفنن الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات مثل: "**ولئن رددت**"، و"**ولئن رجعت**"، وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذلك كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة فذلك وجه من الإعجاز.([1])

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٦٨/١.

قال الإمام الباقلاني:- إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معني واحد من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين فيه البلاغة وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة علي ترتيبات متفاوتة، ونبهوا بذلك عن عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكررا ولو كان فيهم تمكن من المعارضة لقصدوا تلك القصة فعبروا عنها بألفاظ لهم تؤدي معناها وتحويها وجعلوها بإزاء ما جاء به وتوصلوا بذلك إلي تكذيبه وإلي مساواته فيما جاء به "(١)

٢- ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعني واحد، وقد كان المشركون في عصر النبي (ﷺ) يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذا القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم، وبيان وجوه التأليف، فعرفهم الله سبحانه أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلي قدرة من لا يلحقه نهاية، ولا يقع علي كلامه عدد لقوله تعالي "**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** "(٢) وكقوله تعالي "**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"(٣)(٤).

---

(١) ينظر: الإتقان٣/٢٠٤،٢٠٥ تأليف الإمام / القاضي أبي بكر الباقلاني ط / دار عالم المعرفة بدون تاريخ.

(٢) سورة الكهف آية رقم: ١٠٩.

(٣) سورة لقمان آية رقم: ٢٧.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/٢٧،٢٨ تأليف الإمام/ أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة/ الأولى سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٣- ذكر القصص القرآني في أكثر من سورة ألبسها زيادة ونقصانا وتقديما وتأخيرا، ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها فيكون شيئا معادا فنزهه عن ذلك بهذه التغيرات وذلك أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلي أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدم، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسي إلي قوم وقصة عيسي إلي قوم آخرين، وكذا سائر القصص فأراد الله اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين. (١)

٤- في ذكر القصة في أكثر من سورة اهتمام بشأنها وتمكين لعبرها في النفوس حتى يتذكرها

المسلم دائما ويتزود منها لمعاشه ومعاده والتكرار كما أنه عادة البلغاء وشيمة الفصحاء فهو أيضا أسلوب بليغ من أساليب التربية ووسيلة من وسائل الإقناع والتأثير والتغيير يقول الأستاذ الدكتور عبد الغنى ألراجحي (رحمه الله) " كررت القصة الواحدة في القرآن في أكثر من سورة، لتوكيد ما تفيده من المعاني والأهداف في نفوس السامعين فالتكرار من أقوي وسائل الإقناع وتركيز الفكرة والعقيدة في النفس البشرية "(٢).

٥- في ورود القصة القرآنية الواحدة في سور متعددة وبأساليب متنوعة وطرائق شتي ما يدل دلالة واضحة علي الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وذلك لأننا حين نجمع هذه الآيات المتفرقة الواردة في قصة واحدة ونتأمل فيها بدقة نجد أنفسنا أمام نسيج فريد وبناء محكم مكتمل وصورة وافية للقصة يقول الأستاذ الدكتور عبد الغنى ألراجحي (رحمه الله) "المفارقات اللفظية التي جاء عليها

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن صـ٣٠٨.

(٢) ينظر: النهج القويم في دراسة علوم القرآن بتصرف صـ١٩.

مكرر القصص عندما نبحث عن أسرارها وأسبابها يتجلى لنا بوضوح رعاية المقامات في كلام الله ومناسبته لمقتضي الحال"([1]).

٦- إن الاختلاف راجع في الأغلب إلي اختلاف الأحوال ففي كل عبارة جاءت علي نهج معين رعاية ومناسبة لمقام الحديث،ويتصل بهذا المظهر من مظاهر التحدي حيث يكون المعني الأصلي واحدا وتحدث بتكراره زيادات ومعان ثانية لم يزد بها إلا حلاوة وطلاوة، علي خلاف المعهود في بلاغة الناس، فإن التكرار فيه يعرضه للقوة والضعف والتهافت، وإن وفق في موضع خذل وسقط في موضع آخر.

٧- إنه لما تحداهم فقال " **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** "([2]) فلو ذكرت القصة في موضع وأحد واكتفي لقال العربي: ائتونا أنتم بسورة من مثله، فانزل لها (ﷻ) في تعداد السور دفعا لحجتهم من كل وجه([3]).

٨- أن تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها الآخر وذلك لأسباب منها:-

أ- تجنب التطويل في الحكاية الواحدة فيقتصر علي موضع العبرة منها في موضع ويذكر آخر في موضع آخر فيحصل من متفرق مواضعها في القرآن كمال القصة أو كمال المقصود منها، وفي بعضها ما هو شرح لبعض.

ب- أن يكون بعض القصة المذكور في موضع مناسبا للحالة المقصودة من سامعيها، ومن أجل ذلك تجد ذكراً لبعض القصة في موضع، وتجد ذكراً

---

(١) ينظر: المصدر السابق صـ ٢١.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ٢٣.

(٣) ينظر: بتصرف البرهان ٣/٢٦،٢٧، والإتقان ٣/٢٠٤،٢٠٥.

لبعض آخر منها في موضع آخر لأن فيما يذكر منها مناسبة للسياق الذي سيقت له، فإنها تارة تساق إلي المشركين، وتارة إلي أهل الكتاب، وتارة تساق إلي المؤمنين، وتارة إلي كليهما، وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثم تساق في حالة خاصة أخري، ثم تساق إليها في حالة أخري. وبذلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز علي حسب المقامات، ألا تري قصة بعث موسي كيف بسطت في سورة طه، وسورة الشعراء، وكيف أوجزت في آيتين في سورة الفرقان "**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا**"(١).

جـ- أنه قد يقصد تارة التنبيه علي خطأ المخاطبين فيما ينقلونه من تلك القصة، وتارة لا يقصد ذلك. (٢)

٩- أورد الإمام الزركشي هنا سؤالا وأجاب عليه فقال: إنه (ﷺ) ذَكَرَ قِصَّةَ قَوْمِ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ وَلُوطٍ وَمُوسَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَهُودٍ وَالشُّعَرَاءِ وَلَمْ يَذْكُرْ مَعَهُمْ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَرْيَمَ وَالْعَنْكَبُوتِ وَالصَّافَّات.؟

وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ السُّوَرَ الْأُوَلَ ذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا نَصْرَ رُسُلِهِ بِإِهْلَاكِ قَوْمِهِمْ وَنَجَاةِ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ.

وَهَذِهِ السُّوَرُ لَمْ يَقْتَصِرْ فِيهَا عَلَى ذِكْرِ مَنْ أَهْلَكَ مِنَ الْأُمَمِ بَلْ كَانَ الْمَقْصُودُ ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنْ لَمْ يُذْكَرْ قَوْمُهُمْ وَلِهَذَا سُمِّيتْ سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ فَذَكَرَ فِيهَا إِكْرَامَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ وبدأ بِقِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ الْمَقْصُودُ ذِكْرَ كَرَامَتِهِ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمُ أَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ أَبُ أَكْثَرِهِمْ وَلَيْسَ هُوَ أَبُ نُوحٍ

(١) سورة الفرقان آية رقم: ٣٥،٣٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١/٦٨،٦٩.

وَلُوطٍ لَكِنْ لُوطٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَيُّوبُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى في سورة الأنعام: " **وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ** "(١).

وَأَمَّا سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ فَإِنَّهُ (ﷺ) ذَكَرَ فيها امتحانه للمؤمنين نصره لَهُمْ وَحَاجَتَهُمْ إِلَى الْجِهَادِ وَذَكَرَ فِيهَا حُسْنَ الْعَاقِبَةِ لِمَنْ صَبَرَ وَعَاقِبَةَ مَنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَذَكَرَ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ لِأَنَّهَا مِنَ النَّمَطِ الْأَوَّلِ. وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ قَالَ فِيهَا: " **وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ**"(٢)، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهَا عَاقِبَةٌ رَدِيئَةٌ، إِمَّا بِكَوْنِهِمْ غُلِبُوا وَذُلُّوا وَإِمَّا بِكَوْنِهِمْ أُهْلِكُوا وَلِهَذَا ذَكَرَ قِصَّةَ إِلْيَاسَ دُونَ غَيْرِهَا وَلَمْ يَذْكُرْ إِهْلَاكَ قومه بل قال: " **فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ** "(٣).

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ رَفَعَ إِلْيَاسَ وَهَذَا يَقْتَضِي عَذَابَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمْ يُقِمْ بَيْنَهُمْ وَإِلْيَاسُ الْمَعْرُوفُ بَعْدَ مُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعْدَ مُوسَى لَمْ يُهْلِكِ الْمُكَذِّبِينَ بِعَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ وَبَعْدَ نُوحٍ لَمْ يُهْلِكْ جَمِيعَ النَّوْعِ وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ نَذِيرًا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَذْكُرْ عَنْ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُمْ أُهْلِكُوا كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِمْ بَلْ ذَكَرَ أَنَّهُمْ أَلْقَوْهُ فِي النَّارِ فَجَعَلَهَا بَرْدًا وَسَلَامًا وَفِي هَذَا ظُهُورُ بُرْهَانِهِ وَآيَاتِهِ حَيْثُ أَذَلَّهُمْ وَنَصَرَهُ " **فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ** "(٤) وَهَذَا مِنْ جِنْسِ الْمُجَاهِدِ الَّذِي يُعَرِّضُ عَدُوَّهُ وَالْقَصَصُ الْأَوَّلُ مِنْ جِنْسِ الْمُجَاهِدِ الَّذِي قَتَلَ عَدُوَّهُ، وَإِبْرَاهِيمُ بَعْدَ هَذَا لَمْ يُقِمْ بَيْنَهُمْ بَلْ هَاجَرَ وَتَرَكَهُمْ وَأُولَئِكَ الرُّسُلُ لَمْ يَزَالُوا مُقِيمِينَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ حَتَّى هَلَكُوا وَلَمْ يُوجَدْ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ سَبَبُ الْهَلَاكِ وَهُوَ

---

(١) سورة الأنعام آية رقم:٨٤.

(٢) سورة الصافات آية رقم: ٧١، ٧٢،٧٣.

(٣) سورة الصافات آية رقم: ١٢٧.

(٤) سورة الصافات آية رقم: ٩٨.

إِقَامَتُهُ فِيهِمْ وَانْتِظَارُ الْعَذَابِ النَّازِلِ وَهَكَذَا مُحَمَّدٌ (ﷺ) مَعَ قَوْمِهِ لَمْ يُقِمْ فِيهِمْ بَلْ خَرَجَ عَنْهُمْ حَتَّى أَظْهَرَهُ اللَّهُ عليهم بعد ذلك. وَقَدْ يَتُوبُ مِنْهُمْ مَنْ تَابَ كَمَا جَرَى لِقَوْمِ يُونُسَ فَهَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ هُوَ السِّرُّ فِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَذْكُرْ قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ مَعَ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مَنْ جِنْسِ وَاقِعَتِهِمْ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا وَجْهُ خُصُوصِيَّةِ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ (عليهما السلام) بِذَلِكَ ؟.

فَالْجَوَابُ: أَمَّا حَالَةُ إِبْرَاهِيمَ فَكَانَتْ إِلَى الرَّحْمَةِ أَمْيَلَ فَلَمْ يَسْعَ فِي هَلَاكِ قَوْمِهِ لَا بِالدُّعَاءِ وَلَا بِالْمَقَامِ وَدَوَامِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**"(١)، وَكَانَ كُلُّ قَوْمٍ يَطْلُبُونَ هَلَاكَ نَبِيِّهِمْ فَعُوقِبُوا وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَإِنْ أَوْصَلُوهُ إِلَى الْعَذَابِ لَكِنْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَلَمْ يَفْعَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ العذاب إذ الدنيا ليس دَارُ الْجَزَاءِ الْعَامِّ وَإِنَّمَا فِيهَا مِنَ الْجَزَاءِ مَا تَحْصُلُ بِهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ كَمَا فِي الْعُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فَمَنْ أَرَادُوا عَدَاوَةَ أَحَدٍ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ لِيُهْلِكُوهُ فَعَصَمَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ صُورَةَ الْهَلَاكِ نِعْمَةً فِي حَقِّهِ وَلَمْ يُهْلِكْ أَعْدَاءَهُ بَلْ أَخْزَاهُمْ وَنَصَرَهُ فَهُوَ أَشْبَهُ بِإِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) إِذْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ كَيْدِهِمْ وَأَظْهَرَهُ حَتَّى صَارَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا ثُمَّ كَانَتْ لَهُ الْعَاقِبَةُ فَهُوَ أَشْبَهُ بِحَالِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) فَإِنَّ مُحَمَّدًا سَيِّدُ الْجَمِيعِ وَهُوَ خَلِيلُ اللَّهِ كَمَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) خَلِيلُهُ وَالْخَلِيلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْجَمِيعِ وَفِي طَرِيقِهِمَا مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ مَا لَيْسَ فِي طَرِيقِ غَيْرِهِمَا. (٢)

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم: ١٣، ١٤.

(٢) ينظر: البرهان ٣/٢٩-٣٢.

المطلب الثاني

ذكر القرآن الكريم لبعض القصص في سورة واحدة ووجه الحكمة في ذلك

وكما ذكر بعض القصص في أكثر من موضع وأكثر من سورة فهناك بعض القصص لم يذكر إلا مرة واحدة كما في قصة الرجل الذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها في سورة "**البقرة**"، وقصة ولدي آدم في سورة "**المائدة**"، وقصة يوسف في سورة "**يوسف**"، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسي والخضر، وقصة أصحاب الجنتين، وذي القرنين في سورة "**الكهف**"، وسبأ في سورة "**سبا**"، وأصحاب الجنة في سورة "**ن**"، وأصحاب الأخدود في سورة "**البروج**"، وأصحاب الفيل في سورة "**الفيل**"

والسر في عدم ذكرها أكثر من مرة:-

١- أن القرآن قد جاء مشتملا علي الضربين معا تنوعا وتفننا في القول وفي هذا ما فيه من تسفيه العرب المعاندين، وإلقامهم الحجر، وإثبات عجزهم في كل.

٢- أو أن العبرة كلها قد سيقت في الأصل الذي لم يكرر كأصحاب الفيل، وأصحاب الأخدود، وأهل الكهف، وذي القرنين، وولدي آدم، وأصحاب الجنة، وأصحاب القرية، وأهل سبأ، ولقمان.

٣- أو يكون عدم التكرار منوطاً بخصوصية لا تخلوا من حكمة وسر فقصة يوسف (عليه السلام) نزلت جملة واحدة ولم تكرر:-

أ- لما فيها من تشبيب النسوة به، وتضمن الأخبار عن حال أمرآة ونسوة أفتتن بأبدع الناس جمالا، وارفعهم مثالاً، فناسب عدم تكرارها لما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك.

ب- إنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص، فإن مآلها إلي الوبال، كقصة إبليس، وقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وغيرهم. فلما اختصت هذه القصة في سائر القصص بذلك أنتفت الدواعي علي نقلها لخروجها عن سمت القصص.

جـ- قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: "إنما كرر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقا واحدا، أشارة إلي عجز العرب كأن النبي (ﷺ) قال لهم إن كان من تلقاء نفسي تصديره علي الفصاحة فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء(١).

د- وقال الإمام السيوطي بعد ذكر كلام الذركشي السابق "وظهر لي جواب رابع وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم كما رواه الحاكم في المستدرك(٢) فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفيها.

هـ- وقال أيضا وظهر لي جواب خامس وهو أقوي ما يجاب به أن قصص الأنبياء إنما كررت، لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم، والحاجة داعية إلي ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله (ﷺ)، فكلما كذبوا

---

(١) ينظر: البرهان ٢٩/١، ٣٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ "نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ (ﷻ) "**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**" حديث رقم: ٣٣١٩ ٣٧٦/٢ وقال عقبه صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي "المستدرك على الصحيحين تأليف / أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع المتوفى: ٤٠٥هـ تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة/ الأولى سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب، كما حل علي المكذبين ولهذا قال تعالي في آيات "**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**"(١)

"**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ**"(٢) وقصة يوسف (عليه السلام) لم يقصد منها ذلك.(٣)

و- وتعليل آخر قاله بعض العلماء وهو أن أغلب هذه القصة وقع قبل النبوة وأكثرها مواقف مادية بحته فيها تعداد ألوان ومواقف.(٤)

وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرار قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقصة موسي مع الخضر، وقصة الذبيح.(٥)

(١) سورة الأنفال آية رقم:.٣٨

(٢) سورة الأنعام آية رقم: ٦.

(٣) ينظر: الإتقان ٢٠٦/٣.

(٤) ينظر: المرشد الوافي صـــ٢٢٠.

(٥) ينظر: الإتقان ٢٠٦/٣.

المطلب الثالث

عناصر القصص القرآني

العنصر الأول: من عناصر القصص القرآني: الزمان

للزمن مكانه الملحوظ في سير الأحداث القصصية وفي تنميتها لأن الحدث القصصي إذا خرج عن حدود الزمن وقيوده يجعله في عزلة عن الحياة، ولهذا تقوم القصة القرآنية، علي ملاحظة العنصر الزمني ملاحظة دقيقة حيث تمسك الخيوط الزمنية بكل جزئياتها، ويظهر الزمن في القصة إذا استدعته الأحوال وتطلبه الموقف حتى يعطي العظة والعبرة التي تهدف إليها القصة القرآنية.

١ــ قال تعالي "**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ** "(١) (١) أَيْ جاء إخوة يوسف إلى أبيهم بعد أن فعلوا فعلتهم الشنيعة ؛ وهي إلقاء أخيهم في غيابه الجب، و التفريق بين الوالد وولده، و عقوق الوالد، و عدم رحمة الطفل الصغير؛ رجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون، أي: يتباكون على الصحيح، فلم يكن بكاؤهم ببكاء،... فكان بكاؤهم تباكياً وليس بكاء على الحقيقة، جاءوا متصنعين بهذا البكاء ملتمسين العذر عند أبيهم، وملتمسين العفو.

وكما هو معلوم فإن القرائن تقدّم على الدّعاوى والأقوال، فكل قول ليس مدعماً ببينات وقرائن فهو قول متحفظ عليه، وليس مجرد البكاء بناف للتهم عن المتهمين، فثَم أقوام يبكون عن حقيقة، وثَم آخرون يتباكون، فدائماً القرائن والبينات تقدم على الدعاوى والأحوال المصطنعة المتصنعة.

---

(١) سورة يوسف آية رقم: ١٦.

جَاءُوهُ فِي وَقْتِ الْعِشَاءِ إِذْ خَالَطَ سَوَادُ اللَّيْلِ بَقِيَّةَ بَيَاضِ النَّهَارِ فَمَحَاهُ، حَالَ كَوْنِهِمْ يَبْكُونَ لِيُقْنِعُوهُ بِمَا يَبْغُونَ وليكون إتيانهم متأخرا عن عادتهم، وبكاؤهم دليلا لهم، وقرينة على صدقهم.

قَالَ أهل الْمعَانِي: جَاءُوا فِي ظلمَة الْعشَاء ليكونوا أجرأ على الِاعْتِذَار بِالْكَذِبِ،وللاستتار والتجسر على الاعتذار.([1])

٢ــ وقال تعالي "**فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**"([2]) والبضع كما هو رأي كثير من العلماء: من ثلاثة إلى تسعة،

وورد في هذا الباب: أن أبا بكر (ﷺ) كان قد رأى أن الروم ستغلب الفرس، فلما نزل قول الله تعالى: "**غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ**"([3])، وكان قد وقت خمس سنين، فلما مرت الخمس ولم تغلب الروم الفرس ذهب أبو بكر إلى النبي (ﷺ) فأشار إليه: لو مددت إلى تسع، فما مرت التسع إلا وقد غلبت الروم الفرس، فاستأنس البعض بذلك على أن البضع أقل من العشرة، أي: من ثلاثة إلى تسعة، والله تعالى أعلم. إن هذه المحنة مع امتدادها لبضع سنين لم تضعف إيمان هذا النبي الكريم، ولم تزعزع من ثقته بربه وإيمانه بضرورة الدعوة إلي الله بين أصحابه

---

(١) ينظر: تفسيرالمنار١٢/٢٢٠ تأليف الإمام / "السيد مُحَمَّد رَشِيد رِضا. المتوفى سنة ١٩٣٥ م. طبعة / الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢– ١٩٧٩ م، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل" ٩٩/٢ تأليف الإمام / أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المتوفى سنة: ٧١٠هـ حققه وخرج أحاديثه / يوسف علي بديوي راجعه وقدم له / محيي الدين ديب مستو الناشر/ دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى سنة: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٢) سورة يوسف آية رقم: ٤٢.

(٣) سورة الروم آية رقم: ١، ٢، ٣، ٤.

المسجونين ففي الإشارة إلي هذا الزمن دلالة عظيمة في الكشف عن معدن هذا النبي الكريم وما في نفسه من رضا بقدر الله وحكمه، ولو لم تكن هذه الإشارة إلي هذا الزمن لما وجد هذا الإحساس وتلك المشاعر وهذا التعاطف الذي يصل بيننا وبين هذا النبي الكريم ولما عرفنا ما في نفسه الكريمة من رصيد عظيم من التقوى والإيمان. ٣- وللزمن أهميته في التخطيط قال تعالي "**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** "(١).

قالَ أي يوسف (عليه السلام) له في تأويلها "**تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** " أي دائبين مواظبين كل عام منها فَما حَصَدْتُمْ أي من الزرع فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ أي لا تدرسوه، فإنه أبقى له "**إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ**" أي في تلك السنين، يعني بقدر ما تأكلون. " **ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ** " أي السبع المذكورات " **سَبْعٌ شِدادٌ** " أي سبع سنين صعاب على الناس، لقوة القحط " **يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ** " أي ما رفعتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها.

قال الإمام ابن كثير " **تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا** " أَيْ يَأْتِيكُمُ الْخِصْبُ وَالْمَطَرُ سَبْعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَاتٍ، فَفَسَّرَ الْبَقَرَ بِالسِّنِينَ؛ لِأَنَّهَا تُثِيرُ الْأَرْضَ الَّتِي تُسْتَغل منها الثمرات والزروع، وهن السنبلات الْخُضْرُ، ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ فِي تِلْكَ السِّنِينَ فَقَالَ: " **فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِه إلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ**" أَيْ: مَهْمَا اسْتَغْلَلْتُمْ فِي هَذِهِ السَّبْعِ السِّنِينَ الْخِصْبَ فَاخْزُنُوهُ فِي سُنْبُلِه، لِيَكُونَ أَبْقَى لَهُ وَأَبْعَدَ عَنْ إِسْرَاعِ الْفَسَادِ إِلَيْهِ، إِلَّا الْمِقْدَارَ الَّذِي تَأْكُلُونَهُ، وَلْيَكُنْ قَلِيلًا قَلِيلًا لَا تُسْرِفُوا فِيهِ، لِتَنْتَفِعُوا فِي السَّبْعِ الشِّدَادِ، وَهُنَّ السَّبْعُ السِّنِينَ المُحْل الَّتِي تَعْقُبُ هَذِهِ

(١) سورة يوسف آية رقم: ٤٧، ٤٨، ٤٩.

السَّبْعَ مُتَوَالِيَات، وَهُنَّ الْبَقَرَاتُ الْعِجَافُ اللَّاتِي يَأْكُلْنَ السِّمان؛ لِأَنَّ سِنِيَّ الجَدْب يُؤْكَلُ فِيهَا مَا جَمَعَوه فِي سِنِيِّ الْخِصْب، وَهُنَّ السُّنْبُلَاتُ الْيَابِسَاتُ.وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُنَّ لَا يُنْبِتْنَ شَيْئًا، وَمَا بَذَرُوهُ فَلَا يَرْجِعُونَ مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: " **يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ**"

ثُمَّ بَشَّرَهُمْ بَعْدَ الجَدْب الْعَامِ الْمُتَوَالِي بِأَنَّهُ يَعْقُبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ "عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ" أَيْ: يَأْتِيهِمُ الْغَيْثُ، وَهُوَ المَطرُ، وتُغل الْبِلَادُ، ويَعصرُ النَّاسُ مَا كَانُوا يَعْصِرُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ، مِنْ زَيْتٍ وَنَحْوِهُ، وَسُكَّرٍ وَنَحْوِهُ... "(١).

العنصر الثاني: من عناصر القصص القرآني: المكان

وهو يمثل الوعاء الذي تقع فيه الأحداث، ومن ثم فهو عنصر هام كسابقه في الأهمية لذا يهتم القرآن الكريم بتعينه إذا وجدت ضرورة تستلزم ذلك ووضع خاص يؤثر في سير الأحداث أو يبرز ملامحها أو يقيم شواهد العبرة والعظة منها(٢).

ومن الأماكن التي ذكرها القرآن الكريم وعينها لفائدة تعلقت بها

١- البيت الحرام في مكة المكرمة:

قال تعالي "**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ** "

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٣٩٣،٣٩٢/٢ تأليف / الإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ تحقيق / محمد حسين شمس الدين ط / دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى سنة: ١٤١٩ هـ،ومحاسن التأويل ٦/ ١٨٣.

(٢) ينظر: بتصرف القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ص ٩٢.

إن أوّل متعبد للناس الكعبة. وفي الحديث أن رسول اللَّه (ﷺ) سئل عن أوّل مسجد وضع للناس فقال: "المسجد الحرام، ثم بيت المقدس" وسئل كم بينهما ؟ قال: أربعون سنة "(١).

وعن عليّ (رضي الله عنه)(٢) أن رجلا قال له: أهو أوّل بيت ؟ قال: لا، قد كان قبله بيوت، ولكنه أوّل بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة.

وأوّل من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس(٣): هو أوّل بيت حُجَّ بعد الطوفان.

وقيل: هو أوّل بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته.

وقيل: هو أوّل بيت بناه آدم في الأرض.

---

(١) أخرجه مسلم ــ كتاب ــ المساجد ومواضع الصلاة ــ باب ــ رقم ١ حديث رقم: ٥٢٠ ١/٣٧٠.

(٢) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي بن عم الرسول (ﷺ) أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وكنيته أبو الحسن صهر رسول الله (ﷺ) علي فاطمة سيدة نساء العالمين وأبو السبطين وهو أول الناس أسلاما بعد خديجة (رضي الله عنها) وهو الذي نام في فراش الرسول (ﷺ) ليلة الهجرة استشهد (رحمه الله) سنة أربعين ينظر: أسد الغابة ٤ / ١٦-٤٠.

(٣) هو: حبر الأمة وهو أحد المكثرين من الرواية عن النبي (ﷺ)، شهد مع علي الجمل وصفين وكان واليا له على الكوفة كف بصره في آخر عمره وكان في مكة ثم انتقل إلى الطائف بعد أن أخرجه ابن الزبير وتوفي في الطائف وهو ابن واحد وسبعين سنة ودفن فيها سنة ٦٨هجرية. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة /١٢١-١٣١.

وقيل: لما أهبط آدم قالت له الملائكة: طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفي عام، وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح، فرفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات.

" **لَلَّذِي بِبَكَّةَ**" البيت الذي ببكة، وهي علم للبلد الحرام: ومكة وبكة لغتان فيه، نحو قولهم: النبيط والنميط، في اسم موضع بالدهناء.. (١)

وقيل: مكة: البلد، وبكة: موضع المسجد. وقيل: اشتقاقها من "بكه " إذا زحمه لازدحام الناس فيها. وعن قتادة: يبك الناس بعضهم بعضاً الرجال والنساء، يصلى بعضهم بين يدي بعض، لا يصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة. "(٢)

٢- المكان الذي بدأ منه الإسراء:

قال تعالي " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "(٣)

ففي هذه الآية الكريمة ذكر المسجدين لما لهما في النفوس من مشا عر الجلال والإعظام وكذلك ذكر الزمان وهو قوله تعالي " لَيْلًا " والإسراء – كما يفهم من هذه الآية – هو رحلة سماوية، أرادها الله سبحانه لنبيّه الكريم، ليريه (ﷻ) من آياته، ما لا تراه العيون، ولا تظناه الظنون! وحدود هذه الرحلة – كما يذكر القرآن– هي: من المسجد الحرام بمكة، إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس.

---

(١) النَّبَطُ: بِفَتْحَتَيْنِ وَ النَّبِيطُ: قَوْمٌ يَنْزِلُونَ بِالْبَطَائِحِ بَيْنَ الْعِرَاقَيْنِ وَالْجَمْعُ (أَنْبَاطٌ) يُقَالُ: رَجُلٌ نَبَطِيٌّ، وَ نَبَاطِيٌّ، وَ نَبَاطٍ مِثْلُ يَمَنِيٍّ وَيَمَانِيٍّ وَيَمَانٍ. وحكي يَعْقُوبُ: نُبَاطِيٌّ أَيْضًا بِضَمِّ النُّونِ.ينظر: مختار الصحاح ٣٠٣/١.

(٢) ينظر: الكشاف٣٨٧/١، ومفاتيح الغيب ٢٩٧/٨.

(٣) سورة الإسراء آية رقم: ١.

وزمانها، لحظة من لحظات الليل.. كما يقول سبحانه: "**سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا..**" (١)

العنصر الثالث: من عناصر القصص القرآني: الأسماء والمسميات

من العناصر البارزة في مادة القصة وفي إلباسها ثوب الحياة ذكر أسماء الأشخاص وما لهم من صفات جسدية أو عقلية أو نفسية وقد تجيء الشخصية في القصة القرآنية مبهمة أو غامضة، وتكون من الأناس رجالاً ونساء، ومن الطيور والحشرات، أو أرواحاً خفية من الملائكة والشياطين والجان.

فهناك نماذج الأخيار ونماذج الأشرار، وهناك النساء، فالقرآن حفل بنماذج إنسانية تمثل الجنس البشري كله، وجعلها نماذج صالحة لكل زمان ومكان... وهي نماذج حية شاخصة نراها بأعيننا وفي حياتنا...

١- لنأخذ سيدنا موسى عليه وعلي نبينا السلام. نموذجا. فها هو ذا قد ربي في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره، وأصبح فتًى قويًّا.

" **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ** "(٢).

وهنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي. وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية، فيثوب إلى نفسه شأن العصبيين." **قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ**

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ٤١٢/٨ تأليف الإمام / عبد الكريم يونس الخطيب المتوفى: بعد سنة ١٣٩٠هـ الناشر/ دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) سورة القصص آية رقم:١٥.

إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ "(١) **فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**"

وهو تعبير مصور لهيئة معروفة: هيئة المتفزع المتلفت المتوقع للشر في كل حركة. وتلك سمة العصبيين أيضًا. ومع هذا، ومع أنه قد وعد بأنه لن يكون ظهيرًا للمجرمين. فلننظر ما يصنع. إنه ينظر " **فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ** " مرة أخرى على رجل آخر، " **قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ**" ولكنه يهم بالرجل الآخر كما هم بالأمس، وينسيه التعصب والاندفاع استغفاره وندمه وخوفه وترقبه، لولا أن يذكره من يهم به بفعلته، فيتذكر ويخشى:" **فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ** "(٢).

وحينئذ ينصح له بالرحيل رجل جاء من أقصى المدينة يسعى، فيرحل عنها كما علمنا.

فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات، فلعله قد هدأ وصار رجلا هادئ الطبع حليم النفس. كلا ! فها هو ذا ينادي من جانب الطور الأيمن: " فألقاها فإذا هي حية تسعى"(٣). وما يكاد يراها حتى يثب جريًا، لا يعقب ولا يلوي. إنه الفتى العصبي نفسه ولو أنه قد صار رجلا ؛ فغيره كان يخاف نعم، ولكن لعله كان يبتعد منها، ويقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى.

---

(١) سورة القصص آية رقم:١٧،١٦،١٥.

(٢) سورة القصص آية رقم: ١٩.

(٣) سورة طه آية رقم:٢٠.

ثم لندعه فترة أخرى، لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه.

لقد انتصر على السحرة، وقد استخلص بني إسرائيل، وعبر بهم البحر، ثم ذهب إلى ميعاد ربه على الطور، وإنه لنبي، ولكن ها هو ذا يسأل ربه سؤالا عجيبا " **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**" ثم حدث ما لا تحتمله أية أعصاب إنسانية – أعصاب موسى عليه وعلي نبينا السلام." **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** "(١)...

ثم ها هو ذا يعود، فيجد قومه قد اتخذوا لهم عجلا إلهًا، وفي يديه الألواح التي أوحاها الله إليه، فما يتريث " **وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ** " وإنه ليمضي منفعلًا يشد رأس أخيه ولحيته ولا يسمع له قولًا:" **قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** "(٢).

وحين يعلم أن "ألسامري" هو الذي فعل الفعلة، يلتفت إليه مغضبًا، ويسأله مستنكرًا. حتى إذا علم سر العجل: "**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**"(٣).

هكذا في حنق ظاهر وحركة متوترة. فلندعه سنوات أخرى.لقد ذهب قومه في التيه ونحسبه قد صار كهلًا حينما افترق عنهم، ولقي الرجل الذي طلب إليه أن يصحبه ليعلمه مما آتاه الله علمًا.

---

(١) سورة الأعراف آية رقم: ١٤٣.

(٢) سورة طه آية رقم: ٩٤.

(٣) سورة طه آية رقم: ٩.

ونحن نعلم أنه لم يستطع أن يصبر حتى ينبئه بسر ما يصنع مرة ومرة ومرة، فافترقا... !

تلك شخصية موحدة بارزة، ونموذج إنساني واضح في كل مرحلة من مراحل القصة جميعًا.

٢- تقابل شخصية موسى شخصية إبراهيم (عليه السلام). إنه نموذج الهدوء، والتسامح والحلم: " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيب "(١).

فها هو ذا في صباه يخلو إلى تأملاته، يبحث عن إلهه **"فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ "**(٢).

وما يكاد يصل إلى هذا اليقين، حتى يحاول في بر ووود أن يهدي إليه أباه، في أحب لفظ وأحياه.

" يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ

(١) سورة هود آية رقم: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام آية رقم:٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩،٨٠.

الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا "(١).

ولكن أباه ينكر قوله ويغلظ له في القول، ويهدده تهديدًا: " **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا** "(٢).

فلا يخرجه هذا العنف عن أدبه الجم، ولا عن طبيعته الودود؛ ولا يجعله ينفض يديه من أبيه:

" **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** "(٣).

ثم ها هو ذا يحطم أصنامهم – ولعله العمل الوحيد العنيف الذي يقوم به– ولكنه إنما تدفعه إلى هذا رحمة أكبر. عسى أن يؤمن قومه إذا رأوا آلهتهم جذاذًا، وعلموا أنها لا تدفع عن نفسها الأذى. ولقد كادوا يؤمنون فعلا. " **فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ** "(٤). ولكنهم عادوا فهموا بإحراقه، وحينئذ " **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** "(٥).

ولقد اعتزلهم عهدًا طويلا مع النفر الذي آمن معه، ومنهم ابن أخيه لوط. وفي كبره وهرمه يرزقه الله بإسماعيل؛ ولكن يقع له ما يحتم عليه أن يبعد ابنه وأمه عنه "والقرآن لا يتعرض لهذا الذي وقع" في غلبة الطبع الرضي على الحنو الأبوي ؛ ويدركه إيمانه بربه، فيدعهما بجوار بيته. وهناك ينادي ذلك

---

(١) سورة مريم آية رقم: ٢٢،٤٣،٤٤.

(٢) سورة مريم آية رقم: ٤٦.

(٣) سورة مريم آية رقم: ٤٧.

(٤) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٤

(٥) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٩.

النداء الخاشع المنيب: " **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** "(١)(٢).

وقد لا يذكر القرآن الكريم أسماء شخصيات ما لها من صفات نفسية أو روحية:

مثل قوله تعالي في صاحب موسي وهو الخضر (عليه السلام): قال تعالي " **فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** "(٣).

وقال تعالي في الرجل المؤمن من آل فرعون: والذي كان مناصرا لسيدنا موسي (عليه السلام) " وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ "(٤).

وعندما لا تكون هناك ضرورة لذكر أسماء، إذ لا تؤدي دورا في الحدث القصصي فلا يذكر القرآن هذه الأسماء لأنها لا غرض لها حينئذ ولا فاعلية في غرس العظة والعبرة في النفوس.

وذلك: مثل قوله سبحانه عن احدي القرى: " **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ**"(٥).

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم: ٣٧.

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن ص ٢٠٠- ٢٠٩ تأليف الشيخ / سيد حسين ألشاربي المتوفي سنة ١٣٨٥هـ الناشر / دار الشروق الطبعة / الشرعية السابعة عشرة.

(٣) سورة الكهف آية رقم: ٦٥.

(٤) سورة غافر آية رقم: ٢٨.

(٥) سورة النحل آية رقم:١١٢.

أي جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها "**كانت آمنة**" من القتل والسبى "**مُّطْمَئِنَّةً**"

لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف " يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا" واسعاً " مِّن كُلِّ مَكَانٍ" من كل بلد " **فَكَفَرَتْ**" أهلها " **بِأَنْعُمِ اللهِ" جمع نعمة " فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الجوع والخوف بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**"(١).

قال الشيخ المراغي (رحمه الله) "أي بين الله صفة لقرية كان أهلها آمنين من العدو والقتال والجوع والسبي، يأتيها الرزق الكثير من سائر البلدان، فكفروا بنعم الله، فعمهم الجوع والخوف، وذاقوا مرارتهما بعد سعة العيش والطمأنينة، وقد جاءهم رسول من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه، فكذبوه فيما أخبرهم به من وجوب الشكر على النعمة، فأخذهم العذاب واستأصل شأفتهم لا لتباسهم بالظلم، وهو الكفر وتكذيب الرسول." (٢).

العنصر الرابع: من عناصر القصص القرآني:

الحوار: وهو لغة: من الحور وهو الرجوع وقد ورد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم كلها تظهر الخلاف بين المتحاورين ومحاولة إقناع بعضهم بعضا

الأول: في قوله تعالي "**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**"(٣).

---

(١) ينظر: تفسير النسفي ٢/٢٣٧،٢٣٨.

(٢) ينظر: تفسير المراغي ١٤/١٥٠، ١٥١ تأليف / الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي المتوفى سنة: ١٣٧١هـ. الطبعة: الأولى سنة ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

(٣) سورة الكهف آية رقم: ٣٤.

والثاني: في قوله تعالي " **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**"(١).

والثالث: في قوله تعالي " **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**"(٢).

واصطلاحا: مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين مختلفين(٣).

ويعتبر الحوار عنصرا أساسيا في القصة القرآنية، يجري بين شخصياتها معبرا عن المعنى المراد مشيرا إلى بعض ما ترمز إليه من أهداف، وهو يبعث الحياة في القصة القرآنية ويجعلها أكثر تعبيرا عن المعنى المقصود، ولا يمكن لأسلوب العرض التقريري أن يغني عنه في بعض المواقف، فهو أداة التعبير المباشر عن الشخصية، الإنسانية يعبر عن أسلوبها وطبيعتها ويكشف خفاياها من حيث الاستعدادات والانفعالات.

ويأتي الحوار في إطار السرد التاريخي للقصة، ويبرز هذا في قصة يوسف عند ما تحدث القرآن عن المرأة "**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** "

وهناك علاقة بين الحوار والشخصية لأن لكل شخصية أسلوبها المعبر، فالملك يعبر بأسلوب يعبر عن شخصيته: "**ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي**"، "**إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**" والأمر واضح في خطاب الملوك، وفيه شدة ويلاحظ في الحوار أسلوب الرجاء " **يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا**" وأسلوب النصح في

---

(١) سورة الكهف آية رقم: ٣٧.

(٢) سورة المجادلة آية رقم: ١.

(٣) ينظر: لسان العرب ٥/٢٣٠.

خطاب الأب لأولاده": يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ "وليس هناك كلمة أبلغ في التعبير عن الاطمئنان وإزالة الخوف من كلمة يوسف لأخيه **"إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ"** وتأتي كلمة امرأة العزيز حاسمة صادقة **" الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ "**

والحوار متعدد الأساليب، فهناك من الحوار ما يفيد معنى التهديد والوعيد، وهناك ما يفيد معنى الازدراء والاستخفاف وهناك ما يفيد معنى التلقين والتقرير، وهناك ما يفيد معنى النصح أو الاعتراف.. والقصة في سورة يوسف غنية بدلالاتها ومعانيها وألفاظها ومفرداتها، والحوار فيها

مؤثر ومعبر وبليغ، يتميز بقوة الألفاظ وبجمالها وبقدرتها التعبيرية عن الموقف، حتى أن القارئ يشعر كأنه يعيش الحدث ويتفاعل معه ويتأثر به، وكأنه يراه أمامه نابضا بالحياة..

ويتميز الأنبياء في الحوار بالرفق والنصح والتوجيه وسعة الصدر، لأنهم أصحاب رسالة، ومن الطبيعي أن يكون حوارهم معبرا عن قيم أخلاقية رفيعة وداعيا إلى عبادة الله والاحتكام إليه والاعتماد عليه، وتبرز معجزاتهم الدالة على صدق رسالتهم من خلال ما يمثله الحوار وما يعبر عنه من قدرات خاصة، كتأويل الأحاديث بالنسبة ليوسف، ومعجزات واضحة بالنسبة لموسى.. والحوار في القرآن متعدد الجوانب، فقد يخاطب الإنسان نفسه ويحاورها في نوع من أنواع التعبير عما يجيش في النفس من خواطر، لتفسير بعض المواقف، وأحيانا يجري الحوار بين الله والملائكة أو بين الله والإنسان، كقوله تعالى " **وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ**" (١).

(١) سورة البقرة آية رقم: ٣٠.

وأحيانا يجري الحوار بين الملائكة والإنسان أو بين الإنسان والشياطين أو بين الإنسان والحيوان:

وغاية الحوار في كل ذلك تقريب الأفكار وتوضيح المعاني وإغناء السامع بالحجة وتمكينه من الوصول إلى الحقيقة، والإجابة عن طريق الحوار إلى ما يجول في ذهنه من تساؤلات وشكوك، ويتضمن الحوار في معظم الأحيان ما يراد أن يصل إلى السامع من إقرار مبادئ الإيمان، ومن انتصار الخير على الشر، ومن الاعتراف بنعمة الله وشكره والتخويف من عذابه..

دور الحوار في القصة: للحوار دور هام في القصص القرآني فهو الذي

١- يبعث الحياة والحركة في أحداث القصة، وما جري فيها.

٢- أنه يؤدي إلي تحقيق الهدف من ورود القصة القرآنية وهو العبرة والعظة في المقام الأول وذلك بإشاعة روح الحركة والحياة في وقائع القصة وأحداثها.

٣- إن الحوار في القصة القرآنية يكشف عن طبائع الناس وتوجهاتهم وانفعالاتهم، وأنواع مواقفهم، وتباين آرائهم أمام الأحداث المختلفة، ويكشف عن مدي الصراع في المواقف المتغايرة.

٤- إن الحوار في القصة القرآنية يزج بالقارئ والسامع في تجربة القصة ليعيشها بأحداثها وما وقع فيها وما نتج عن هذه الأحداث.

٥- الحوار في القصة القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني في أسلوبه الراقي وألفاظه القوية وجرسه المناسب الرشيق وكشفه عن حديث المرء لنفسه في صورة حوار أو مناجاته لربه.

لأن الحوار في القصة القرآنية يأتي لإحياء المشاهد أو تصوير الانفعالات، ولذا تنوعت أساليبه وطرقه تبعا لاختلاف الأشخاص بحسب المواقف والأحداث حتى يكون أكثر أثرا في نفوس سامعيه، وهدايتهم وتوجيههم.

ومن أوضح هذه الأساليب

١- **التقرير:** وذلك يكون بعرض الحقائق علي الخصم، كمسلمات بديهية، التي لا تقبل الإنكار والجدل.

مثال ذلك: ما جاء في قصة صالح مع قومه قال تعالي " **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ "**(١).

٢- **التلقين:** وذلك بتوجيه دعاة الحق إلي ما يواجهون به قومهم في دعوتهم،من حقائق،أو دفع شبهاتهم لإظهار العناية برسله.

مثال ذلك: ما جاء في قصة موسي وهارون (عليهما السلام) "**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ**

(١) سورة الأعراف آية رقم: ٧٣ــ ٧٩.

أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى "(١)

(١)

٣- **المحاجة:** وذلك بإقامة الدليل والبرهان عن طريق الرجوع إلي العقل، وإلي الحس والتجربة، مثال ذلك: ما جاء في قصة موسي وهارون مع فرعون قال تعالي " **فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى "(٢).**

---

(١) سورة طه آية رقم: ٩ــ ٣٦.

(٢) سورة طه آية رقم: ٤٧ــ ٥٣.

٤- **التذكير بالنعم والتخويف بالعذاب:** لأن طبيعة الإنسان تقتضي أن يرغب فيما يحب وان يكره ما يخاف.

مثال ذلك: ما جاء في قصة إبراهيم مع قومه قال تعالي " **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** "(١).

٥- **محاولة التبرير:** وذلك بالتماس الأعذار للإبقاء علي وضعهم الذي هم فيه،وهروبا من الدعوة الجديدة وقيودها التي تصادم رغباتهم وأهواءهم قال تعالي "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**"(٢).

٦- **الاستخفاف:** قد يستخف الإنسان من صاحب الدعوة تحقيرا لشانه حتي يبعد الناس عنه استمع للقرآن وهو يقص ما قاله فرعون لموسي " **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ**

(١) سورة الشعراء آية رقم: ٦٩ــ ٨٢.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ٢٠ــ ٢٣.

الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ"(١)(٢).

(١) سورة الشعراء آية رقم: ١٨ــ ٢٢.

(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن صـ ٤١٠ـــ ٤٢٠.

المطلب الرابع

آثار خضوع القصص للغرض الديني

خضعت القصة في القرآن للغرض الديني – وكان لهذا الخضوع آثارًا واضحة في طريقة عرضها، بل في مادتها.

وأهم هذه الآثار:

أ- لقد كان أول أثر لهذا الخضوع أن ترد القصة الواحدة -في معظم الحالات- مكررة في مواضع شتى:-

ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها- غالبًا- إنما هو تكرار لبعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها؛ أما جسم القصة كله، فلا يكرر إلا نادرًا. ولمناسبات خاصة في السياق،.. وحين يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة ملاحظًا السياق الذي وردت فيه يجدها مناسبة لهذا السياق تمامًا، في اختيار الحلقة التي تعرض هنا أو تعرض هناك، وفي طريقة عرضها كذلك. ويجب أن نذكر دائمًا أن القرآن كتاب دعوة دينية، وأن التناسق بين حلقة القصة التي تعرض والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم. وهذا يتوافر دائمًا، ولا يخل بالسمة الفنية إطلاقًا.

على أن هناك ما يشبه أن يكون نظامًا مقررًا في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة -يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها- فمعظم القصص يبدأ بالإشارة مقتضبة، ثم تطول هذه الإشارات شيئًا فشيئًا، ثم تعرض حلقات كبيرة تكون في مجموعها جسم القصة -وقد تستمر الإشارات المقتضية فيما بين عرض هذه الحلقات الكبيرة عند المناسبات- حتى إذا استوفت القصة حلقاتها، عادت هذه الإشارات هي كل ما يعرض منها.

ونضرب مثالًا على هذا النظام، قصة موسى. إذا إنها أشد القصص في القرآن تكرارًا، فهي من هذه الوجهة تعطي فكرة كاملة عن هذا التكرار.

وردت هذه القصة في حوالي الثلاثين موضعًا، نذكر أهمها ونهمل بعض المواضع التي ورد فيها الاسم مجردًا. فكيف جاءت في هذه المواضع؟ إنها تسير في المراحل التالية:

١- في سورة الأعلى "السورة الثامنة في النزول" إشارة قصيرة: " **إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**"(١). وإشارة قريبة منها في النجم "السورة ٢٣"(٢).

٢- وفي الفجر "السورة العاشرة" إشارة إلى فرعون بدون، ذكر موسى مع عاد وثمود:" **وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ**"(٣). وإشارة قريبة منها في سورة البروج "السورة ٢٧"(٤).

٣- وفي سورة الأعراف السورة "٣٩" بدأ التفصيل الأول للقصة في معرض قصص مشترك مع نوح وهود ولوط وشعيب، اتحدت فيه صيغة الدعوة وصيغة التكذيب، والعقاب الذي أخذ المكذبين.

وقد بدأت القصة هنا برسالة موسى وهارون إلى فرعون، وملئه " **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ**... "(٥) ثم ذكرت معجزة العصا

---

(١) سورة الأعلى آية رقم:١٨،١٩.

(٢) سورة النجم آية رقم: ٣٦.

(٣) سورة الفجر آية رقم:١٠،١١،١٢،١٣.

(٤) سورة البروج آية رقم: ١٨.

(٥) سورة الأعراف آية رقم:١٠.

واليد البيضاء. وجمع السحرة. والمباراة بينهم وبين موسى، وغلبته عليهم، وإيمانهم به. وتعذيب فرعون لبني إسرائيل بعد ذلك. وتسليط الجراد والقمل والضفادع والدم على فرعون وقومه، واستغاثتهم بموسى، وكف الأذى عنهم، وعودتهم لتعذيب بني إسرائيل. ثم خروج هؤلاء من مصر. وبعد الخروج طلبهم من موسى أن يتخذ لهم إلهًا كما للمصريين آلهة، وتذكيره لهم بربهم. ثم ميعاد موسى مع ربه بعد ثلاثين ليلة زيدت إلى أربعين، وطلبه رؤية ربه، ودك الجبل وانصعاق موسى وإفاقته. وعودته إلى قومه حيث وجدهم قد اتخذوا لهم عجلا إلهًا، وغضبه على أخيه. ثم اختيار سبعين رجلا منهم لميقات ربه، وغشيتهم بالجبل لما طلبوا رؤية الله جهرة وإفاقتهم، ثم دعاؤهم بطلب الرحمة، فالرد عليهم بأن الرحمة قد كتبت للمؤمنين الذين يتبعون النبي الأمي..

٤- ثم ترد إشارتان للرسالة والتكذيب وإهلاك المكذبين، في قصص مشترك إحداهما في الفرقان السورة "٤٢"(١) والثانية في مريم السورة "٤٤"(٢).

٥- وفي سورة طه السورة "٤٥" يبدأ تفصيل آخر. يبدأ من حلقة أسبق من حلقة الرسالة التي ذكرت في "الأعراف" تلك هي رؤية موسى للنار من جانب الطور: "**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**"(٣).

---

(١) سورة الفرقان آية رقم: ٣٥.

(٢) سورة مريم آية رقم: ٥١.

(٣) سورة طه آية رقم: ٩، ١٠،١١،١٢،١٣.

وبعد أن يكلف الذهاب إلى فرعون، يحاور ربه ليرسل معه هارون، يشد أزره ويكون وزيرًا له، فيذكره الله بنعمته عليه في مولده، ورده إلى أمه – في إشارة سريعة– ثم تسير القصة كما سارت في الأعراف "مع حذف آيات الجراد والقمل والضفادع والدم، وعهد فرعون لبني إسرائيل ونكثه. ومع زيادة حلقة وهي إلى السامري هو الذي صنع العجل، وتفصيل قصة صنعه. ويذكر الميعاد بسرعة ويغفل الميقات".

٦– وفي سورة الشعراء السورة "٤٧" تبدأ القصة من حلقة الرسالة، وتسير في الخطوات التي سارت فيها إلى حلقة الخروج، ولكنها تزيد هنا أمرين: الأول ذكر موسى أنه قتل رجلا من المصريين فهو يخشى أن يؤخذ به، وتذكير فرعون له بأنه قد ربي فيهم وليدًا وفعل هذه الفعلة ومضى. والثاني ذكر انفلاق البحر كالطود العظيم. وهذا وذلك مع تنويع في الحوار بين فرعون وموسى، وإثبات أله بصفاته. وتنويع في الحوار مع السحرة كذلك.

٧– ثم تذكر في سورة النمل السورة "٤٨" حلقة التكذيب، والعقاب مجملة مع قصص مشترك.

٨– وفي سورة القصص السورة "٤٩" تبدأ القصة من أول حلقة فيها: من مولد موسى في إبان اضطهاد قومه. فوضعه في التابوت وإلقائه في البحر. والتقاط آل فرعون له، وتحريم المراضع عليه. وقول أمه لأخته أن تقص أثره. ومعرفتها بأمره، وإشارتها على آل فرعون بمرضع للطفل هي أمه. ثم كبره. ثم قتله للمصري، ومحاولته قتل آخر، وتهديده إياه بإفشاء سر القتلة الأولى. ونصح رجل له بالهرب وقد جاءه من أقصى المدينة يسعى. وخروجه إلى أرض مدين. والتقائه ببنتي شعيب، وسقيه لهما، وإعجاب إحداهما به، وحضها أبيها على استخدامه، وعمله مع شعيب. وزواجه بابنته حسب شرطه. ثم

انفصاله عنه وذهابه بأهله. ثم رؤيته النار "التي بدأ منها القصة في سورة طه". ثم تسير القصة كما سارت هناك، بزيادة واحدة وهي تهكم فرعون في قوله: " **فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**(١) وتنتهي عند حلقة غرق فرعون، بعد خروج موسى.

٩- ثم في سورة الإسراء السورة "٥٠" إشارة سريعة إلى إغراق فرعون، والتمكين لبني إسرائيل.

١٠- وفي سورة يونس السورة "٥١" عرض قصير - في وسط قصص مشترك- لبيان عاقبة التكذيب. وقد ذكرت فيه حلقة السحرة باختصار، وتجاوز بني إسرائيل البحر، واتباع فرعون لهم وغرقه. ولكن زاد في حلقة الغرق أن يقول: " **حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**"(٢)! فكان الرد عليه: "**آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**"(٣). وهي زيادة لا ترد إلا في هذا الوضع.

١١- ثم في سورة هود السورة "٥٢" إشارة إلى الإهلاك بعد التكذيب في صدد قصص مشترك.

١٢- وفي سورة غافر - أو المؤمن- السورة "٦٠" تعرض حلقة الحوار بين فرعون وموسى. ولكن يزيد في هذا الحوار قول فرعون: " **ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ**"(٤). وظهور رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، يشير

---

(١) سورة القصص آية رقم: ٣٨.

(٢) سورة يونس آية رقم: ٩٠.

(٣) سورة يونس آية رقم: ٩١.

(٤) سورة غافر آية رقم: ٢٦.

عليهم ألَّا يقتلوه، فقد يكون على صراط مستقيم. وهي زيادة لا ترد في غير هذا الموضع.

١٣- وفي سورة فصلت السورة "٦١" إشارة سريعة. وكذلك في سورة الزخرف السورة "٦٣" إشارتان سريعتان. ولكن يزيد هنا أن فرعون يقول: **"أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ"**(١) وهي زيادة لا ترد إلا في هذه السورة.

١٤- وفي سورة الذاريات السورة "٦٧" إشارة خاطفة إلى إرسال موسى إلى فرعون بسلطان مبين، وتكذيبه وإهلاكه.

١٥- وفي الكهف السورة "٦٩" تعرض حلقة مقابلة موسى لعبد من عباد الله أوتي من لدنه رحمة وعلم علمًا. وقد طلب إليه موسى أن يصحبه ليستفيد من علمه، فأخبره أنه لن يصبر معه ليعلمه، فوعده موسى أن يصبر، ثم لم يستطع معه صبرًا؛ لأن الرجل أخذ في تصرفات لا يدرك كنهها موسى، ولا يعرف لها مغزى. فشرح له الرجل العالم سرها وافترقا. وهي حلقة تذكر مرة واحدة.

١٦- ثم في سورتي إبراهيم والأنبياء "٧٢، ٧٣" إشارتان سريعتان. المهم في ثانيتهما وصف التوراة بأنها "فرقان" على نحو ما سبق في هذا التفصيل.

١٧- ويأتي تفصيل آخر في سورة البقرة السورة "٨٧" في معرض تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم، ومقابلتهم هذه النعم بالمماطلة والجحود -وفي هذا المعرض تكرر بعض الحلقات التي سبقت في قصة موسى- ومن ذلك إعطاؤهم

---

(١) سورة الزخرف آية رقم: ٥١، ٥٢.

المن والسلوى، ولكن يزيد هنا تبطرهم على هذه النعم، وطلبهم أطعمة منوعة بدل المن والسلوى.

ثم حلقة البقرة التي أمرهم الله بذبحها، فجعلوا يتلكأون، ويسألون عن صفاتها ويتمحلون فيها، حتى استنفذوا المعاذير، " **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**"(١). وهي – كما ترى– حلقة جديدة لم تذكر من قبل أصلًا.

١٨– وفي سورة النساء السورة "٩٢" إشارة إلى طلبهم أن يروا الله جهرة للتدليل على عنتهم ومحالهم.

١٩– وفي سورة المائدة السورة "١١٢" تذكر حلقة وقوفهم على أبواب الأرض المقدسة لا يدخلون:

" **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ"!... إلى قوله: " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**"(٢).

ويتركهم هنالك في التيه فلا يأتي بعد ذلك ذكر لموسى. ولا يذكر عن بني إسرائيل إلا تفرقهم وعداؤهم للمسيح والمسلمين. هذه القصة أشد القصص تكرارًا في القرآن. وقد رأينا من هذا الاستعراض نوع التكرار؛ وأنه –فيما عدا ستة مواضع– إشارات وعظية إلى القصة اقتضاها السياق؛ أما الحلقات الأساسية فلم تكرر تقريبًا؛ وإذا كررت حلقة منها جاءت بشيء جديد في تكرارها. وهذه القصة نموذج للقصص الأخرى، وعلى ضوئها ندرك أن ليس

(١) سورة البقرة آية رقم:٧١.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ٢٢، ٢٣، ٢٤.

في القصص القرآني ذلك التكرار المطلق، الذي يخيل لبعض من يقرئون القرآن، بلا تدقيق ولا إمعان.

ب- وكان من آثار خضوع القصة في القرآن للغرض الديني -غير التكرار- أن تعرض بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض، ومن الحلقة التي تتفق معه:

فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها؛ وتارة تعرض كاملة، وتارة يكتفي ببعض حلقاتها، وتارة تتوسط بين هذا وذاك، حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذاك.

ذلك أن الهدف التاريخي لم يكن من بين أهداف القرآن الأساسية كالهدف القصصي سواء؛ فسارت القصة وهدفها الأول هو الهدف الديني، على النحو التالي:

١- نجد قصصًا تعرض منذ الحلقة الأولى: حلقة ميلاد بطلها؛ لأن في مولده عظة بارزة،

وذلك مثل: قصة آدم "منذ خلقه" وفيها مظهر لقدرة الله، وكمال علمه، ونعمته على آدم وبنيه.

ومثل: مولد عيسى ابن مريم: وهو يعرض تفصيل كامل، ذلك أن مولده هو الآية الكبرى في حياته؛ وحول هذا المولد قام الجدل كله؛ وعنه تفرعت كل قضايا المسيحية قبل الإسلام وبعده.

وقصة مريم: فقد نذرت لله وهي في بطن أمها، وتولى كفالتها زكريا؛ ثم رزقت منذ مولدها رزقًا حسنا من عند الله، فكانت " **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**"(١)

(١) سورة آل عمران آية رقم: ٣٧.

ثم تطوى حلقاتها حتى تأتي حلقة ميلاد عيسى. وهي الحلقة الهامة الثانية في حياتها.

وقصة موسى: لأن لمولده في عهد اضطهاد بني إسرائيل، وتذبيح الذكور من أطفالهم، ونجاته هو من ذلك مع وجوده بين آل فرعون أنفسهم... قيمة خاصة في بيان رعاية الله له، وإعداده إعدادًا خاصًّا للمهمة التي سينهض بها. ثم تذكر من حياته حلقاتها ذات المغزى.

وإسماعيل وإسحاق تعرض حلقة مولدهما؛ لأن في هذا المولد عبرة. فأولهما رزقة إبراهيم على الكبر، وأسكنه -على الرغم منه- بجوار البيت المحرم، والثاني بشر به وامرأته عجوز. وقد بلغ من
الكبر عتيًّا. وكذلك يذكر مولد يحيى لزكريا؛ بعد أن وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبًا.

٢- ونجد قصصًا أخرى تعرض من حلقة متأخرة نسبيًّا:

فيوسف تبدأ قصته صبيًّا. فمن هذه الحلقة يرى الرؤيا التي تسير حياته كلها، وتؤثر في مستقبله جميعًا، إذ يرى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين؛ فيدرك أبوه مغزاها ويقربه إليه، فيغار إخوته منه... ثم تسير القصة في طريقها المرسوم بعد هذه الرؤيا.

وإبراهيم تبدأ قصته فتى ينظر في السماء فيرى نجمًا، فيظنه إلهه، فإذا أفل قال: "لا أحب الآفلين".

ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر، فيظنه ربه؛ ولكنه يأفل كذلك، فيتركه ويمضي.

ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها، ويظنها -ولا شك- إلهًا! ولكنها تخلف ظنه هي الأخرى، فيفيء إلى ربه الذي لا يرى... ويدعو أباه وقومه إلى هذا

الإله الواحد فلا يجيبونه، فيحطم أصنامهم في غفلة منهم حيث يقولون: "**سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**"(١) ويهمونه بإحراقه، فينجيه الله منهم: " **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**"(٢).

وتبدأ قصة داود وهو في مقتبل الشباب. تبدأ بحلقة صراعه لجالوت – وهو فارس ضخم مشهور – فيتغلب عليه داود؛ لأن الله ينصره.

ومن هنا تبدأ قصته. ولعل سليمان كان في مثل سن أبيه حينما جلس معه يحكم في قضية الحرث. "**إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ**"(٣). ولقد كان هذا الحكم المبكر دلالة على ما أعده الله لسليمان من تدبير الملك الأكبر. (٤).

(١) سورة الأنبياء آية رقم:٦٠.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم:٦٩.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم:٧٨.

(٤) ينظر: التصور الفني في القرآن ص١٥٦ــ١٦٥.

المبحث الخامس

دفع ما آثاره خصوم الإسلام حول قصص القرآن من شبهات

لا شك أن أعداء الإسلام ينشطون كلما تصوروا أن هناك ثغرة ينفذون منها للطعن في الإسلام أو في دستوره القرآن الكريم أو في نبيه (ﷺ) وقد جافهم الحق والصواب في كل ما أثاروا وصدق الله العظيم في قوله " **وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**"(١).

يقول ابن قتيبة "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا" واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله " (٢) بأفهام كليلة وأبصار عليلة ونظر مدخول فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله. ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة، واللحن وفساد النظم، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب وقدحت بالشكوك في الصدور. ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأويلهم، لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله (ﷺ) يحتج عليه بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطن بعد موطن على أن يأتى بسورة من مثله، وهم الفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والمخصصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد واللداد في الخصام مع اللب والنهى وأصالة الرأي وقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب وكانوا مرة يقولون هو سحر(٣)

---

(١) سورة التوبة: آية رقم ٣٢.

(٢) سورة آل عمران: آية رقم: ٧.

(٣) وهو ما جاء في قوله تعالى "**واذا تتلى عليهم آياتُنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين**" سورة الأحقاف: آية رقم: ٧.

ومرة يقولون هو قول الكهنة (١) ومرة أساطير الأولين (٢) ولم يحك الله تعالى عنهم ولا بلغنا فى شئ من الروايات أنهم جدبوه من الجهة التي جدبه منها الطاعنون " (٣).

و تكرار القصص القرآني من أكثر المجالات التي لجوا فيها بزيفهم وضلالهم.

فاهتم علماء الإسلام بالرد عليهم و الشبه المثارة على القصص القرآني متنوعة في موضوعاتها فمنها ما هو في تكرار القصة القرآنية ومنها ما هو في ادعائهم أن القرآن أخذ من الكتب السابقة.... وسوف اكتفى بذكر بعضها وأقوم بالرد عليه.

الشبهة الأولي

حول الكلام المكرر(٤) في القرآن:

هذه الشبهة من الشبهات التي أكثروا اللغو حولها. واتخذوها كذلك منفذاً للطعن في القرآن الكريم بأنه ليس وحياً من عند الله.

---

(١) وهو ما ما جاء فى قوله تعالى "**ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون**" سورة الحاقة: آية رقم: ٤٢.

(٢) وهو ما ما جاء فى قوله تعالى "**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا** " سورة الفرقان آية رقم: ٥.

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٢٢، ٢٣.

(٤) معنى التكرار في اللغة: "عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى، أو" هو الرجوع على الشيء: ينظر: لِسَان العَرَب: مَادة (كرر) ١٣٥/٥. والتعريفات ص ٩٨ تأليف / أبى الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عَلِيّ الجرجاني المعروف بالسيد الشريف.المتوفى سنة ٨١٦ هـ. تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكِتَاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ.

وركزوا كل التركيز على تكرار القصص في القرآن وذكروا بعض القصص الذي تكرر، مع الإشارة إلى مواضعه في سور القرآن، كما ذكروا تكرار بعض العبارات والجمل.

ولغوا لغواً كثيراً، حول تكرار قصة آدم في القرآن، وقالوا إنها تكررت خمس مرات. ونحن نقول بل تكررت سبع مرات. و تكرار قصة موسى في سُوْرَة الْقَصَصِ، كما فعلوا الشيء نفسه مع التكرار الوارد في سورة " الرحمن " وادعوا أن القرآن إذا حُذف منه المكرر لم يبق منه إلا ما يملأ كراسة واحدة.(١)

ومن هؤلاء محمد خلف الله ذكر في رسالته " أن في القرآن قصصاً مكررة اعتماداً على ورود بعض قصص الأنبياء في أكثر من سورة.

فيتساءل هازئاً: " لماذا كرر القرآن قصص آدم، ونوح، وهود، ولوط، وصالح، وشعيب وغيرهم من الرسل والأنبياء؟ إن الوقوف على تاريخ كلّ واحد من هؤلاء يكفي في إيراد القصة الواحدة في الموطن الواحد، وليس يلزم أن تكرر القصة في أكثر من موطن من مواطن القرآن"(٢).

الرد علي هذه الشبهة:

قبل الرد علي هذه الشبهة أقول هذه الشبهة التي يثيرها المشككون بمسلَّمات هذا الدين، وينسجون حولها خيوط العنكبوت واهية قال تعالي "**وإنَّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**"(٣).

---

(١) ينظر: شبهات المشككين ١٠/١ تأليف: مجموعة من المؤلفين طبعة / وزارة الأوقاف المصرية.

(٢) ينظر: الفن القصصي: ص٣٧.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم:٤١.

وأن أخبار الله (ﷻ) يجب أن تكون دائما فوق الآثار البشرية والوثائق التاريخية والأحكام العقلية، وليس هناك أي عمل فكريا كان أو فنيا يسمو إلي أن يصل إلي أن يكون حكما علي القرآن.

والقرآن يحكم ولا يحكم عليه، ولا نقول ذلك بناء علي تعصب أو حكم عاطفي، ولكن الواقع نفسه يحكم بذلك، إن كلام الله الممثل في هذا القرآن المجيد لا يوجد له نظير علي مدي التاريخ الإنساني كله، حفظا وعناية، ورعاية وتوثيقا لقد حفظ عن طريق الصدر والسطر معا من كل تحريف أو تبديل أو نقص"(١).

ويرد علي هذه الشبهة بما يأتي:ـ

أولا: التكرار نوع من الإعجاز وسر من أسرار بلاغة القرآن.

يقول الشيخ/ سيد قطب " قد يحسب أناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد إنه ما من قصة أو حلقة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق، وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار"(٢)..

و يقول الأستاذ مصطفي صادق ألرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية "... والتكرار في القصص القرآني من أوجه إعجازه حيث يرد المعني في صور متعددة وبعبارات مختلفة، وهو مذهب للعرب معروف ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم للتهويل والتوكيد والتخويف، والتفجع

(١) ينظر: المرشد الوافي ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ١ /٦٤.

وما يجري مجراها من الأمور العظيمة، وكل ذلك مأثور عنهم منصوص عليه في كتب البلاغة والأدب.

بيد أن وروده في القرآن الكريم مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته لقوة غريبة فيه، ولضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلا بهذه القوة، لأن المعني الواحد يتردد في أسلوب بصورتين أو صور كل منها غير الأخرى وجها أو عبارة، وهم علي ذلك عاجزون عن الصورة ومستمرون علي العجز لا يطيقون ولا ينطقون"(١).

وذكر النورسي "أن القرآن الكريم يظهر نوعاً من إعجازه البديع أيضا في تكراره البليغ لجملة واحدة أو لفظة، وذلك عند إرشاده طبقات متباينة من المخاطبين إلى عدة معانٍ، وعبر كثيرة في تلك الآية أو القصة فاقتضى التكرار، حيث إنه كتاب دعاء ودعوة، كما أنه كتاب ذكر وتوحيد، وكل من هذا يقتضي التكرار. فكل ما كرر في القرآن الكريم إذاً من آية أو قصة إنما تشتمل على معنى جديد وعبرة جديدة "(٢).

وذكر الشيخ / محمد رشيد رضا: أنه قد تكرر القصة الواحدة في القرآن، ولكن في تكرارها فوائد في كل منها فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارض في المجموع، لأنها لما كانت منزَّلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب؛ اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من

---

(١) ينظر: المعجزات القُرْآنيّة. ص١٨٤-١٨٥. تأليف / بديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة/ إحسان قاسم الصالحي. طبع بالعراق الطبعة الأولى سنة: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

(٢) ينظر: شبهات المشككين ١٠/١ تأليف / مجموعة من المؤلفين طبعة / وزارة الأوقاف المصرية.

المعاني والفوائد ما ليس في بعضها الآخر حتَّى لا تُملَّ ألفاظها ومعانيها، ثُـمَّ إن الأقوال المحكية فيها إنما هي معبرة عن المعاني وشارحة للحقائق وليست نقـلا لألفاظ المحكي عنهم بأعيانهم، فإن بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم، ولم تكـن لغة العربي منهم كلغة القرآن في فصاحتها وبلاغتها، هذا وإن اختلاف الأساليب وطرق التعبير في قصص القرآن وفي القرآن عموماً عـن المعنـى الواحـد لا تختلف إلا لكي تفيد في فهمها فائدة لفظية أو معنوية(١).

ونحن نرى رأي الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا، ونعدّ التكرار إنمـا أتـى فـي مواضع من الَقُرْآن الكَرِيم كي يستزيد المؤمن إيماناً بكون التكرار الذي يراه في الَقُرْآن الكَرِيم يأتي في كلّ مرة بأسلوب جديد، وصياغة جديدة سواء ظهرت لنا الحكمة من وراء هذا التكرار أم لم تظهر، هذا على سبيل الإجمال.

أما على وجه التفصيل: فإن التكرار في القرآن يقع على وجوه:

فهناك التكرار في القصة الواحدة، كقصة آدم (عليه السلام)، وهناك التكـرار فـي الآية الواحدة، كقوله تعالى: "**فبأي آلاء ربكما تكذبان**"(٢).

وهناك التكرار في اللفظ الواحد، وهناك التكرار في الأوامـر والنـواهي، ونحو ذلك إلا أن التكرار الواقع في القرآن الكريم، يباين التكرار الكـائن فـي كلام البشر؛ إذ إن هذا الأخير لا يَسْلَمُ عادة من القلق والاضطراب، ويُعدُّ عيبًـا في الأسلوب، يُعاب عليه الكاتب.

والتكرار في كلام الله سبحانه... هو تكرار محكم، ذو وظيفة يؤديهـا فـي النص القرآني؛ يعرف ذلك كل من خَبَر طبيعة النص القرآني وخصائصه.

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـ ١٩٣، ١٩٤تأليف / الإمام مصطفي صادق ألرافعي ط/ دار الكتاب العربي التاسعة سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

(٢) ينظر تفسير المَنَار تَفْسِير القُرْآن الحكيم ٣٤٣/٨-٣٤٤.

وإذا أحسنا الفهم لكتاب الله فإن التكرار فيه مع سلامته من المآخذ والعيوب يؤدى وظيفتين:

أولاهما: من الناحية الدينية. **ثانيهما:** من الناحية الأدبية.

فالناحية الدينية: باعتبار أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتشريع لا يخلو منها فن من فنونه، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين. (١)

أما الناحية الأدبية: فإن دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدى إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان. يقول الإمام الذركشي موجها لتكرار القصة في القرآن "إن عادة العرب في خطابها إذا اهتمت بشي أرادت تحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء إليه، كررته توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد في الدعاء بحيث تقصد الدعاء، والقرآن نزل بلسانهم فكانت مخاطباته فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة. (٢) (٢)

ويمضي الزركشي موضحا لظاهرة التكرار في القرآن فيقول: " وفائدته العظمي التقرير وقد قيل إن الكلام إذا تكرر تقرر ورسخ في الذهن(٣).

وقال الإمام الزمخشري: إن في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس، وتثبيتا لها في الصدور ألا تري أنه لا طريق إلي حفظ العلوم إلا ترديد ما يرام حفظه

---

(١) سورة الرحمن آية رقم: ١٣.

(٢) ينظر البرهان في علوم القرآن ٩/٣٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق ٩/٣، والتحرير والتنوير ٦٨/١.

منها. وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان "([1])

و قال الإمام الغزالي " هل القصص التي رواها لنا القرآن الكريم، متشابهة في سياقها وأحداثها وإفادتها أعني هل هي لون من التكرار الذي يغني قليله عن كثيره ؟

الجواب: لا لكل قصة في موضعها إيراد مقصود، وأثر مغاير يحتاج إليه السامع لتكتمل به الحقيقة التاريخية والعناصر التربوية وهذا كلام يحتاج إلي شرح واستدلال ونحن نذهب إلي قصة

آدم التي تكررت سبع([2]) مرات في القرآن لنستخرج منها نماذج لما نقول... إلي أن قال وقد دفعني إلي ذلك أن نفرا من جهلة المستشرقين زعم أن هذه القصص متناقضة واحسب أن دعواهم عن قصور عقلي لاعن عدوان متعمد.

واذكر أن العقاد قال " أن الصور تختلف للمكان الواحد عندما يتم التقاطها من زوايا مختلفة فصورة القاهرة من الجو، غير صورتها من المقطم، غير صورتها من النيل، غير صورتها من الأهرام القاهرة هي القاهرة وما يراد إبرازه هنا غير ما يراد إبرازه هناك. ([3])

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣٨٥/٣ تأليف الإمام / أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المتوفى سنة ٥٣٨هـ الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة/ الثالثة سنة ١٤٠٧ هـ.

(٢) تكررت ثماني مرات في سور " البقرة – الأعراف – الحجر – الإسراء – طه – الكهف – السجدة – ص ".

(٣) ينظر: المحاور الخمسة للقرآن الكريم صـ ٩٧ للشيخ محمد الغزالي ط/ دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة والوفاء بالمنصورة الثالثة سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

ثانيا:- تكرار القصص القرآني، لا يمكن أن يُفهم حق الفهم إلا إذا عُلِمَ الهدف من القصص القرآني، ومن ثم عُرفت خصائص هذا القصص، وبالتالي يتضح لنا الحكمة من هذا التكرار.

ومجمل القول في ذلك بأن نقول: لما كان من أغراض القصة في القرآن، إثبات وحدة الإله، ووحدة الدين، ووحدة الرسل، ووحدة طرائق الدعوة، ووحدة المصير الذي يلقاه المكذبون...

نقول: لما كان الأمر كذلك، استدعى المنطق القرآني هذا التكرار، لتحقيق تلك الأغراض، وتثبيتها في قلوب المؤمنين، وتحذير المعاندين من مغبَّة الإعراض عنها. فنشأ عن خضوع القصة لهذه الأغراض - كما يقول سيد قطب (رحمه الله) "أن يُعْرَض شريط الأنبياء والرسل الداعين إلى الإيمان بدين واحد، والإنسانية المكذبة بهذا الدين الواحد، مرات متعددة، بتعدد هذه الأغراض؛ وأن يُنشيء هذا ظاهرة التكرار في بعض المواضع. ونوضح المقصود بهذا، بقصة نوح (عليه السلام)؛ يقول تعالى: "**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ**"(١).

فكلما تكرر هذا الاستعراض، كان هناك مجال لتملي هذا الشريط، الذي يقف مرة عند كل نبي، ثم يمضي في عرضه مطردًا...حتى يقف محمد (ﷺ)

(١) سورة الأعراف آية رقم: ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤.

أمام كفار قريش، فإذا هو يقول القولة الواحدة، وإذا هم يردون ذلك الرد المكرر.

ثم لما كان الغرض من القصص القرآني غرض ديني في المقام الأول، اقتضى الأمر أن تعرض منه الحلقات التي تقتضيها هذه الأغراض. فآخر حلقة تُعْرَض – بحسب ترتيب السور – تتفق مع أظهر غرض ديني، صيغت القصة من أجله.فمثلاً، قصة موسى (عليه السلام) ورد أول ذِكْرٍ لها في سورة البقرة، وكان موضوعها ذبح البقرة وتشديد بني إسرائيل على أنفسهم، فشدد الله عليهم؛ ثم جاء ذكر لها في سورة المائدة وفيها عرض لحلقة التيه. فهؤلاء بنو إسرائيل قد أغدق الله عليهم نعمته، وأملى لهم في رحمته؛ ثم ها هم أولاء في النهاية لا يحافظون على النعمة، ولا يدخلون الأرض المقدسة، وقد جهد موسى (عليه السلام) ما جهد لردهم إليها؛ فيكون تأديبهم على هذا الموقف، تركهم في التيه لا مرشد لهم ولا معين، حتى يأتي الأجل المعلوم. وهذا الهدف الديني للقصص، هدف ملحوظ ومقصود في باقي القصص القرآني؛ كقصة آدم، وقصة إبراهيم، وقصص باقي الأنبياء، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام؛ هذا ناهيك عما يرافق هذا الهدف الديني من تناسب واقعي لأحداث القصة، وتناسق فني في سياقاتها المتكررة والمتعددة.

ثالثا:– أن من القصص القرآني ما لا يأتي إلا مرة واحدة، مثل قصة لقمان، وقصة أصحاب الكهف؛ ومنه ما يأتي متكررًا حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضيه المصلحة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد، بل يختلف في الطول والقصر، واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر.

وأن من الحكمة في هذا التكرار: بيان أهمية تلك القصة، لأن تكرارها يدل على العناية بها وتوكيدها؛ لتثبت في قلوب الناس.

ومن الحكمة في هذا التكرار مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها، ولهذا نجد الإيجاز والشدة غالبًا فيما أتى من القصص في السور المكية، والعكس فيما أتى في السور المدنية.

فضلاً عما في هذا التكرار من ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص على رغم تكرارها على أتم وجه، وأفضل تناسب، دون تناقض في المضمون، أو تعارض في سرد الحدث القصصي فإذا تبين هذا، عُلِمَ ضَعْفُ هذه الشبهة ووَهْنَها، وكذلك تساقطها؛

وتبين أيضًا أن ما يقوله أصحابها إنما هو قول بغير علم؛ وهو أقرب إلى أن يكون جعجعة لا تُسمن ولا تغني من جوع. وأن الحق أحق أن يُتَّبَعَ لو كانوا يعلمون.

رابعا:- إن التكرار في القرآن نادر جدا لا يتجاوز آيات معدودة جاءت بنصها في أكثر من سورة٠ ولكن الظاهرة الحقيقية ليست هي التكرار إنما هي التشابه الذي يؤدى إلى التنوع، كثمار الجنة تبدو لأول وهلة أنها هي هي، ولكنها عند المذاق يتبين الفرق بينها وبين ما كان من قبل: " **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**"(١)

وهذا التشابه الذى يؤدى إلى التنويع هو ذاته لون من الإعجاز. فالموضوع الواحد يعرض مرارا، ولكنه يعرض فى كل مرة مختلفا عما سبقه نوعا من الاختلاف، فيكون جديدا فى كل مرة، ويكون- مع التلاوة المستمرة للقرآن- متجددا على الدوام.

الشبهة الثانية:

شبهة الأخذ عن الكتب السابقة!!

قالوا ورد في القرآن الكريم من قَصص يُشابه قصص التوراة، مما يجعل أهل الكتاب يُثيرون شبهة الأخذ عنهم، وقالوا إن علاقة قصص القرآن بقصص التوراة علاقة تصديق فقط.

الرد علي هذه الشبهة:

أولاً: إن العهد القديم لم يكن مترجما إلي اللغة العربية قبل الإسلام، وقد نص علي ذلك المستشرقون أنفسهم فهذا "جوتين" يقول عن صحائف اليهود: إن تلك الصحائف مكتوبة بلغة أجنبية، وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلي عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود قبل الإسلام، وإن أول ترجمة كانت في أوائل العصر العباسي، وكانت بأحرف عبرية كيف إذن أخذ النبي (ﷺ) منها، لا بد علي المستشرقين أن يفتروا كذبه جديدة، وهي أن النبي (ﷺ) درس لغة التوراة فكان يترجمها للقرآن ؟

ثانيا:- لو كان القرآن مأخوذا من التوراة والإنجيل والكتب السابقة، لما استطاع محمد (ﷺ) أن يتحدي الناس ويقدم علي هذا الخطأ الفادح، لأن هذه الأصول المنقول عنها موجودة في متناول أيدي الجميع، فلماذا يتحدي الناس بشيء موجود، ألا يخشي أن يقوم بعض الناس بالرجوع إلي مراجعه والعمل مثل عمله فينكشف.

ثالثا:- ومن لطائف الاستدلال علي أنه لم ينقل من غيره ما يذكره العلماء في فوائد أسباب النزول، إذ يذكرون أنمن فوائد أسباب النزول أن دلالته علي إعجاز القرآن، وأنه من الله تعالي من ناحية الارتجال،فنزوله بعد الحادثة مباشرة يقطع دعوي من أدعوا أنه أساطير الأولين أو من كتب السابقين، فلو

كان ينقل كتابه من كتب غيره لكان إذا سأله سائل يراجع الكتب التي عنده، وينظر ماذا تقول في هذه المسألة ثم يجيب، ولكن النبي (ﷺ) لم يكن يفعل، بل يسأله الرجل فيعطيه الجواب الموافق للصواب الذي لم يكن قرأه ولا عرفه إلا في هذه اللحظة التي نزل عليه فيها.

رابعا: ينص القرآن الكريم على أنّ الله تعالى قد أنزل التوراة والإنجيل. وينص أيضاً على أنّ أهل الكتاب قد حرّفوا وبدّلوا. والتحريف والتبديل لا يعني أنهم قد غيّروا تغييراً كاملاً، وإلا لكانوا أصحاب دين آخر لا علاقة له باليهوديّة أو النصرانيّة. ولا يُعقل أن يتواطأ أهل دين على تبديلٍ كاملٍ لدينهم، ولكن هناك أكثر من سبب يؤدي إلى دخول التحريف.

خامسا: أثبتت دراسات أهل الكتاب أنفسهم على أنّ كتبهم قد دخلها التحريف والتبديل، بل إنّ الكتب المقدسة لديهم تشهد بذلك؛ إما من خلال التناقض القائم بين النصوص، وإما من خلال شهادة هذه الكتب على وجود التحريف.

ومن أمثلة التناقض: ما جاء في إنجيل متى وإنجيل لوقا حول شجرة نسب المسيح (عليه السلام).

ومن أمثلة الشهادة على حصول التحريف: ما ورد في كتب العهد القديم عن عصر الملك يوشيا، والذي اشتهر بإصلاحاته الدينية بعد اكتشاف سفر التثنية، السفر الخامس من أسفار التوراة.

وعندما نعلم أنّ يوشيا هذا قد قام بإصلاحاته في العام ٦٢١ ق.م، وعندما نعلم أنّ زمن موسى (عليه السلام) كان قبل ذلك بستة قرون، ندرك أنهم يُقرّون بضياع بعض أسفار التوراة قبل السبي البابلي، فكيف بالأمر بعد السبي.

سادسا: جاءت التوراة، وكذلك الإنجيل، لبني إسرائيل في عصور معينة، وبالتالي لا داعي لحفظ هذه الكتب بعد انقضاء زمانها. أما القرآن الكريم فقد جاء للبشريّة جمعاء وإلى يوم القيامة، ومن هنا كان حفظه أمراً مُحتّماً.

سابعا : نظراً لكون التوراة مقدسة عند اليهود والنصارى، ونظراً لكون اليهوديّة والنصرانيّة هما التحدي الحقيقي للحقيقة الإسلاميّة، ونظراً لحصول التحريف المؤدّي للانحراف، فقد كان من

المتوقع أن يأتي القرآن الكريم ليناقش هذه الانحرافات، وليصحح هذه العقائد، وليعيد الأمور إلى نصابها وليردها إلى حقيقتها. ومن هنا نلاحظ أنّ القرآن الكريم لم يتعرض إلى الأديان الأخرى كما تعرض لليهوديّة والنصرانيّة. وقد يكون من بعض أسرار ذلك كون هذه الأديان لا تزعم أنها ربانيّة المصدر ولا تشكّل تحدياً جدّياً للفكرة الإسلاميّة. وهذا ما نلاحظه فعلاً على أرض الواقع منذ نزل الإسلام إلى يومنا هذا.

ثامنا: لا يعقل أن يُقر الإسلام بكون اليهوديّة والنصرانيّة ربانيّة المصدر ثم لا نجده يتفق معها في قاسم مشترك كبير. وفي المقابل لا يُعقل أن يُصرّح بتحريفها ثم لا نجده يختلف معها.

تاسعا: إذا كان يوسف (عليه السلام) على سبيل المثال – قد وجد في التاريخ، وجاءت التوراة لتقص علينا قصته. وإذا كانت هذه القصة تُشوّه شخصية هذا النبي الكريم، وإذا كانت هذه الصورة المشوهة عن هذا النبي الكريم لا تزال تلهم الملايين من اليهود والنصارى، ألا يصبح من الحكمة والرحمة بالناس أن يُصحّح مثل هذا الخطأ الفادح، وأن تُرد الأمور إلى نصابها، ليعلم الناس حقيقة ما قام به هذا النبي الكريم، فتصبح قصته ملهمة للخير والخلق الكريم. بل إنّ مثل هذا المنهج هو أشد فعاليّة وتأثيراً، ليس على المسلمين فحسب بل على أهل الكتاب أيضاً. وهذا ما يثبت في التجربة المستمرة.

وأما الرد علي قولهم إن علاقة القرآن بالتوراة علاقة تصديق فقط فلا نسلم لهم بذلك فمع **علاقة التصديق علاقات أخري مثل علاقة الهيمنة:** قال تعالي " **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**"(١).

ومثل: علاقة الإدانة والذم لليهود وكشف لما كانوا يخفونه من حقائق ويرتكبونه من جرائم قال تعالي " **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**"(٢) وقال تعالي "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ** "(٣) وقال تعالي "**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**"(٤) وقال تعالي "**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**"(٥) وقال تعالي "**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**"(٦).

---

(١) سورة المائدة آية رقم:٤٨.

(٢) سورة الجمعة آية رقم: ٥.

(٣) سورة المائدة آية رقم: ١٥.

(٤) سورة المائدة آية رقم:٧٨.

(٥) سورة البقرة آية رقم:٧٢.

(٦) سورة المائدة آية رقم: ٢٤.

ومثل علاقة التصحيح والتقويم: فقصص القرآن تصحح أخبار التوارة من جهة ولا تقع في أخطائها من جهة أخري، قال تعالي "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**"(١) وقال تعالي "**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**"(٢).

ومن أخطاء التوراة: اتهام سيدنا سليمان (عليه السلام) انه انحرف سلوكيا وأشرك بالله وعبد الأصنام(٣).

وبراه القرآن قال تعالي "**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**"(٤).

والخطأ في عدد بني إسرائيل فقد ذكرت أن عددهم عندما كانوا في مصر كبيرا وقدرته لكن القرآن أشار أن عددهم كان قليلا قال تعالي " **إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ** "(٥).

فالعدد الذي ذكرته التوراة مبالغ فيه كثيرا ومخالف للشرع ولحقائق التاريخ ولايقبله أي باحث علمي نزيه.

---

(١) سورة النمل آية رقم: ٧٦.

(٢) سورة الكهف آية رقم: ١٣.

(٣) ينظر: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل صـ٢٢.

(٤) سورة البقرة آية رقم:١٠٢.

(٥) سورة الشعراء آية رقم:٥٤.

الشبهة الثالثة: شبه وجود الأساطير والرد عليها:

إن بعض أصحاب المدرسة البيانية الحديثة تبنوا فكرة الطعن في القرآن من خلال القصص القرآني بحجة أن في القرآن قصصاً مكررة وأن فيه أساطير(١) (١)، إلى غير ذلك تنزه كتاب الله عن كل ذلك.

وسمي من يؤمن بهذه الفكرة بأصحاب المدرسة الأمينية نسبة إلى الشيخ " أمين الخولي" الذي تبنى هذه الفكرة ثم أشرف بنفسه على رسالة دكتوراه تحت عنوان " الفن القصصي في القرآن" لمحمد أحمد خلف الله قدمت إلى جامعة الأزهر، وقد ردت هذه الرسالة، وأثارت هذه الأفكار الشاذة زوبعة فكرية تأثر بها شرذمة قليلة من ضعاف العقول ممن انبهر بالفكر الغربي، وقد اعترف صاحب هذه الرسالة بوضوح وبكل صراحة بتأثره بالآراء العلمانية. فيقول: " كنت قد أحسست بحاجتي الملحة إلى الإطلاع على ما يفعله علماء الغرب حيث يدرسون الأدب وتاريخه، فاستجبت لهذا الإحساس، وقرأت بعض الكتب التي تعالج هذه المسائل "(٢) (٢).

فالذي يقرأ هذه الرسالة لا يشك لحظة واحدة أن وراء كتابة هذه الرسالة يداً خبيثة تريد العبث والتشكيك بكتاب الله وعقائد المسلمين، وقد قام علماء أجلاء بالرد على هذه الرسالة منهم العلامة محمد الخضر الحسين شيخ الأزهر الأسبق في كتابه نقد كتاب الفن القصصي في القرآن.

والأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه قصص القرآن وأجاد في الرد.

---

(١) ينظر الفن القصصي في الَقُرْآن الكَرِيم. ص١٧ –٢٧. تأليف/ مُحَمَّد أحمد خلف الله. الطبعة السادسة. دار امريث للنشر. القاهرة سنة ١٩٣٦ م.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ص ١١.

" وقد أجمع علماء الإسلام في هذا العصر على رفض هذا الرأي وعده مخالفاً لضوابط تفسير القرآن، بل عدوه تكذيباً للقرآن نفسه "(١)، فقد قال جل وعلا: "**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقّ**"(٢). وقوله تعالى: " **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِ**"(٣)، وقوله تعالى: " **نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ**"(٤)، **وقوله تعالى:** " **فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَق**"(٥).

ونحن نعلم مما تقدم إن هذه المحاولات الإلحادية للقضاء على حقيقة النص القرآني ورميه بالزيف التاريخي وحاشاه فقد بدأها طه حسين(٦).

نقلا عن نولدكه " المستشرق اليهودي الألماني الشهير"(٧)، وليس الهدف منه سوى الإساءة للنص القرآني في مبناه ومعناه.

أدلة القائلين بوجود الأساطير والرد عليها:

لقد اعتمد القائلون بوجود الأسطورة " بمعناها الخرافي، أي الذي لا وجود له إلا في القصص" على الأدلة الآتية التي تدعم زعمهم بوجودها في الَقُرْآن الكَرِيم نفسه:

---

(١) ينظر: تفسير القرآن: ص٨٥.

(٢) سُوْرَة آلِ عِمْرَانَ: آية رقم: ٦٢.

(٣) سُوْرَة الكَهْفِ:آية رقم: ١٣.

(٤) سُوْرَة الْقَصَصِ:آية رقم: ٣.

(٥) سُوْرَة هُوْد: آية رقم: ١٧.

(٦) ينظر: في الشعر الجاهلي. ص ٣١ تأليف / الدكتور طه حسين. الطبعة الأولي. دار المعارف بمصر سنة ١٩٢٤ م.

(٧) ينظر: المستشرقون. ٢١٣/١١ تأليف / نجيب العفيفي. الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ١٩٨٥سنة ــ ١٩٨٧ م: وكتابه اسمه (تاريخ الَقُرْآن) وهو أول من تبنى هذه النظرية.

١- إن الأساطير في اللغة: " الأباطيل، والأساطير أحاديث لا نظام لها. قال الليث: يقال سطر فلان علينا يُسَطرِّ، إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل "(١).

وذكر محمد خلف الله في رسالته: "إن القران الكريم لا ينكر أن فيه أساطير وإنما ينكر أن تكون الأساطير هي الدليل على أنه من عند مُحَمَّد (ﷺ)(٢)، وقد استدل على رأيه ذلك ببعض الآيات القرآنية التي جاءت لتنقل أقوال المشركين عن القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين، مثل:

أ- قوله تعالى: " **يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين**"(٣).

ب- قوله تعالى: " **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**"(٤).

ج- قال تعالى: " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُالأَوَّلِينَ**"(٥).

فيقول ما يفهم من النظر في هذه الآيات أن المشركين كانوا يعتقدون بما يقولون اعتقاداً صادقاً وأن الشبه عندهم كانت قوية جازمة(٦).

... ثم يذكر بان " ما يفهم من النظر في هذه الآيات التي كل ما تحدث به القرآن عن الأساطير أن القرآن لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود

(١) ينظر: لِسَان العَرَب: مَادة (سطر) ٤/ ٣٦٣.
(٢) سُوْرَة الأَنْفَالِ آية رقم: ٣١.
(٣) ينظر: الفن القصصي في القرآن: ص٢٠٩.
(٤) سُوْرَة الأَنْعَامِ آية رقم: ٢٥.
(٥) سُوْرَة النَّحْلِ آية رقم: ٢٤.
(٦) ينظر: الفن القصصي: ص٢٠٢.

الأساطير "(١)، ثم يذكر " أن القرآن اكتفى بتهديد القوم في سورة الأنعام والمطففين، فهل هذا الرد ينفي ورود الأساطير في القرآن "(٢).

– إن حقائق النص القرآني لا تدل على حقيقة تاريخية(٣).

وهذه الآراء في حقيقة ورودها هي آراء نولدكه، وطه حسين التي تقدمت الإشارة إليها.

مناقشة الأدلة

ونحن نخالف ذلك وفق المنهجية العلمية لعدة أسباب:

أولاً:– إن آية الأنعام ــ " **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**"(٤).

تتحدث عن الوعيد لمن كذب بآيات الله، ثم تتحدث عن وحدانية الله تعالى، فهم حين قالوا: أساطير الأولين لا يقصدون القصص القرآني فقط، بل كل ما جاء به النبي (ﷺ) والقرآن الكريم من تشريع وعقيدة، فاستكبروا وعتوا عتواً كبيراً(٥).

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ص ٢٠٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ص ٢٠٣.

(٣) ينظر: تاريخ الْقُرْآن.ص ٣١٧ـــ ٣١٩ تأليف / ثيودور نولدكه. ترجمة: عَبْد الرَّحْمَن حسن عَبْد الرَّحْمَن. الطبعة الأولى. مطبعة حسان. بيروت، لبنان سنة: ١٩٩٢ م.

(٤) سُوْرَة الأَنْعَامِ آية رقم: ٢٥.

(٥) ينظر القصص القرآني في منظومه: ص ٣٠٨.

ثانياً:- إن آية النحل " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**"(١) التي تتحدث عن قدرة الله وعلمه وحكمته.

إن الآيتان تتحدثان بصيغة المقول لا بصيغة القول. وليس في هذه الآيات شئ من القصص، فقولهم: أساطير الأولين يقصدون قرآن الله.

... ونلاحظ أن استدلاله بالآيات يتم من خلال استدلاله بالجمل التي تدل على ما ذهب إليه باجتزائها من موقعها.

... ثم إن قوله: " إن القرآن لم ينف وجود الأساطير فيه "، فهذا كذب صريح، ومن الآيات التي ترد على الكافرين القائلين بأنه أساطير الأولين:

قال تعالى: "**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**"(٢)، فكان رد القرآن الكريم " **فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماًوَزُوراً**"(٣). قال تعالى: " **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**"(٤).

فكان رد القرآن الكريم " **قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**"(٥).

ثالثا:- ثم إن القول: إن في القرآن الكريم أساطير هو تكذيب لله جل وعلا لأن الأسطورة هي عبارة عن قصص خيالية وأوهام استقرت في أذهان الشعوب. وحاشا أن يكون في كتاب الله مثل ذلك، والذي يعتقد بأن في القرآن أساطير وقصص خرافية لا فرق بينه وبين كفار قريش في رميهم الَقُرْآن بأنه

---

(١) سُوْرَة النَّحْل آية رقم: ٢٤.

(٢) سُوْرَة الْفُرْقَانَ آية رقم: ٤.

(٣) سُوْرَة الْفُرْقَانَ:آية رقم: ٤.

(٤) سُوْرَة الْفُرْقَانَ: الآيتان ٥ – ٦.

(٥) سُوْرَة الْفُرْقَانَ: الآية ٦.

" أساطير الأولين" وهو حديث النضر بن الحارث، وأبي جهل(١). ونحن نعجب لهذه الآراء التي تبناها المستشرقون وتلامذتهم الذين يكيدون للإسلام، ولكننا نقول لهم: "**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا**"(٢).

فكيف يكون فيه أساطير، والله جل وعلا يحكم بأنه لا ريب فيه قال تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ"(٣).

وكيف يكون فيه أساطير، والله جل وعلا يحكم بأنه نزّل الكتاب بالحق قوله تعالى: "**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**"(٤).

فالذي يقول بأن في القرآن أساطير كافر بالقرآن، وقد توعده الله بقوله:" **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**"(٥).

قال تعالى: "**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**"(٦).

رابعا:- أن الزعم بوجود الأسطورة في القرآن الكريم يؤدي بالقائلين به على اختلاف مشاربهم إلى مناقضة نتائج العلم الحديث من خلال علم " الاحفوريات الحديثة"، التي جاءت لتؤكد ما جاء به القرآن الكريم(٧) من أخبار

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام: ٢ /٤١.

(٢) سُوْرَة الطَّارِقِ: الآيتان ١٥ -١٦.

(٣) سُوْرَة البَقَرَةِ: الآية ٢.

(٤) سُوْرَة البَقَرَةِ: الآية ١٧٦.

(٥) سُوْرَة آلِ عِمْرَانَ: الآية ٤.

(٦) سُوْرَة الأَنْعَامِ: الآية ٢٥.

(٧) ينظر: علم الجيولوجيا والقرآن الكريم. ص ٧٨ تأليف / موريس بوكاي. ترجمة: رشوان غالب. الطبعة الثانية. الدار الأكاديمية. قطر. ١٤١٢ هـ:

الأمم السابقة وأنبيائها (عليهما السلام)، وفي ذلك يقول بعض الباحثين: " لقد تبين أن النظريات التي تبناها نولدكه وجولدزيهر وطه حسين وإسماعيل مظهر وأمين الخولي ومحمد أحمد خلف الله وسيد القمني التي تتلخص بعدم وجود حقائق تاريخية في آيات وسور القرآن الكريم هي نظرية متهافتة ساقطة مردودة لأن العلم الحديث أثبت وجود كلّ الأمم التي قصها القرآن الكريم، ووجود أسماء أنبيائهم على ما ذكره القرآن الكريم مما يجعل القرآن الكريم مهيمناً على التوراة والإنجيل المحرفين اليوم في قصص الحق "(١).

ونحن نوافق الباحث فيما ذهب إليه ونعتقد أن الزعم بوجود الأساطير في القصص القرآني إنما هو فرية إستشراقية أعانهم عليها بعض بني جلدتنا، وليس ذلك مما يستغرب من تلامذة المستشرقين(٢).

خامسا:- أن محمد (ﷺ) كان أميا لا يقرأ ولا يكتب فكيف ينقلها ؟

ثم هذه الأساطير ليست خاصة بمحمد، بلهي كتب في متناول الجميع، فلماذا لا تلجأ ون إليها وتفحموا بها محمد يقول العلامة الشيخ الدكتور محمد عبد الله دروا زه (رحمه الله) في الرد علي هؤلاء الجهلة "وهنا يقال بالبديهة لمن يزعم أن أساطير الأولين هي الأساس الذي بني عليه القرآن أخباره، يقال: إذا كان هذا المصدر صالحا بالفعل للأخذعنه، ألم يكن طبيعيا، وفي متناول معارضيه أن يلجأوا إليه، ويحطموا به طموح محمد..." (٣).

سادسا:- إن مجرد هذا القول من قريش هو دعوي خصم في مواجهة خصمه، وما لم يقم الدليل البين عليها لن يكون لها قيمة في ميزان النقاش

(١) ينظر: في التراث والحداثة: ص ١٩٣.

(٢) ينظر: دفاع عن القرآن: ص ٢١.

(٣) ينظر: مدخل إلي القرآن الكريم ص١٣٥للدكتور/ محمد عبد الله دراز.

العلمي الصحيح، وفي القرآن الكريم ما يدل علي تصديق ما سبق، وأن كفار قريش لم يكونوا علي علم بقصص القرآن الكريم، وإنما أرادوا التهمة المجردة بالتكذيب تجد ذلك في قول الله تعالي " **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** "(١)

وقوله (ﷻ) "**وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ** "(٢).

وقوله (ﷻ) "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**"(٣) إِبْطَالٌ" **لِقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**"(٤). وَلَهُ مُنَاسَبَةٌ بِقَوْلِهِ " **وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** "(٥)، فَإِنَّ الْقُرْآنَ وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) فَكُلُّ مَا فِيهِ فَهُوَ مِنْ آثَارِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعْلِيمَ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا مِمَّا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَهُوَ الْعِلْمُ الْحَقُّ...

وَمِنْ ذَلِكَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ تَحْقِيقِ أُمُورِ الشَّرَائِعِ الْمَاضِيَةِ وَالْأُمَمِ الْغَابِرَةِ مِمَّا خَبَطَتْ فِيهِ كُتُبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَبْطًا مِنْ جَرَّاءِ مَا طَرَأَ عَلَى كُتُبِهِمْ مِنَ التَّشَتُّتِ وَالتَّلَاشِي وَسُوءِ النَّقْلِ مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ فِي عُصُورِ انْحِطَاطِ الْأُمَّةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَلِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأُصُولِ الصَّرِيحَةِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ مِمَّا يَكْشِفُ سُوءَ

(١) سورة هود آية رقم: ٤٩.

(٢) سورة ص آية رقم:٦، ٧.

(٣) سورة النمل آية رقم: ٧٦.

(٤) سورة النمل آية رقم:٦٨.

(٥) سورة النمل آية رقم:٧٥.

تَأْوِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِكَلِمَاتِ كِتَابِهِمْ فِي مُتَشَابِهِ التَّجْسِيمِ وَنَحْوِهِ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ مَا يُسَاوِي قَوْلَهُ تَعَالَى " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** "(١).

فَالْمَعْنَى: نَفْيُ أَنْ يَكُونَ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ بِإِثْبَاتِ أَنَّهُ تَعْلِيمٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَعْلِيمٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ.

وَإِنَّمَا قَصَّ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ مَا اخْتَلَفُوا وَهُوَ مَا فِي بَيَانِ الْحَقِّ مِنْهُ نَفْعٌ لِلْمُسْلِمِينَ، وَأَعْرَضَ عَمَّا دُونَ ذَلِكَ. فَمَوْقِعُ هَذِهِ الْآيَةِ اسْتِكْمَالُ نَوَاحِي هَدْيِ الْقُرْآنِ لِلْأُمَمِ فَإِنَّ السُّورَةَ افْتُتِحَتْ بِأَنَّهُ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يَعْمَهُونَ فِي ضَلَالِهِمْ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَدْيِهِ. فَاسْتَكْمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ هَدْيِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَا يُهِمُّ مِمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ.(٢)

(١) سورة الشورى آية رقم: ١١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/٢٠.

الخاتمة نسال الله حسنها

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلي اله وصحبه أجمعين.

فبعد معايشتي لهذا البحث يمكنني أن استخلص منه ما يأتي:

١- إن قصص القرآن الكريم يستفاد منه التأسي الحق بأنبياء الحق – عَلَيْهم الصَلاة والسَّلام – في إدارتهم لشؤون الناس، إضافة إلى مهمة النبوة، ولهم في قصة سيدنا سليمان (عليه السلام) المثل الأعلى، وكيف استطاع الرسول (ﷺ) في زمن بسيط من أن يجعل كل جزيرة العرب تحت لوائه قال تعالى: " **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**"(١).

٢- إن القصص القرآني أفضل وسيلة من وسائل الإقناع فهو يعالج ما جلبت عليه النفس الإنسانية من غرائز وميول ورغبات، ويبين كيف عالج الأنبياء (عليهم السلام) أحوال الناس وفقاً لهذه الميول والرغبات.

٣- إن القصص القرآني لا يراد به السرد التاريخي للأمم والأشخاص والجماعات، وإنما يذكر منها مواضع العبرة والاتعاظ والتذكر، كما قال تعالى: " **وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**"(٢)، لذلك لا تذكر الحوادث بالترتيب ولا تستقصى(٣).

٤- إن القصص القرآني لا يوجد فيه التكرار المشابه للتكرار في القصة التاريخية أو الأدبية، لأن القرآن الكريم كتاب دعوة، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها.

---

(١) سُوْرَة آلِ عِمْرَانَ: الآية ١٥٩.

(٢) سُوْرَة هُوْد آية رقم: ١٢٠.

(٣) ينظر: محاسن التأويل: ١ /١٤٤. والمستفاد من قصص القرآن: ١/ ٧.

٥- إن التكرار في القصص القرآني غير مقصود لذاته بل جاء لا يراد معني آخر في سياق القصة نفسها. فقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً له عند حدوث سببه خوف نسيانه(١)، فالعرب حينما تكرر أمراً أو تؤكده، يدل ذلك على الاهتمام بذلك الأمر، فتكرير صفات الله دال على الاعتناء بمعرفتها والعمل بموجبها(٢).

٦- إن في القصص القرآني المعاد مبناها ومعناها فوائد عديدة، أهمها هو أن حكمة إعادتها تشتمل على التذكير بالله (ﷻ) والطريق للوصول إلى معرفته عز اسمه "(٣).

وبعد:

فهذا ما استطعت استنباطه من نتائج لهذا البحث وما كان فيه من صواب فمن الله (ﷻ) وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

والله أسال أن يرزق هذا البحث القبول الحسن وأن ينفع به كل من قرأه وأن يجعله في ميزان حسناتي أنا ومشايخي وكل من أطلع عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الدكتور

السيد فاروق محمد عبد الرحمن

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

بشبين الكوم- منوفية

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٩/١.

(٢) ينظر: محاسن التأويل: ١ / ٢٥٧.

(٣) ينظر: إعادة المعنى في النصّ القُرْآني. ص ٢٢٨-١٢٩. تأليف الدكتور / عَبْد الله سلوم. طبعة الدار الجامعية للنشر. بيروت، لبنان الثانية. سنة ١٩٩٤ م.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإتقان في علوم القرآن تأليف الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤.
- الإتقان في علوم القرآن تأليف الإمام / القاضي أبي بكر الباقلاني ط / دار عالم المعرفة بدون تاريخ
- إحياء علوم الدين تأليف /الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المتوفى سنة ٥٠٥هـ الناشر/ دار المعرفة – بيروت.
- أزاهير من رياض علوم القرآن للأستاذ الدكتور / شحات حسيب الفيومي عميد كلية أصول الدين بالمنوفية مطبعة الوفاء بشبين الكوم
- إعادة المعنى في النصّ الَقُرْآني. تأليف / د. عَبْد الله سلوم. الطبعة الثانية. / الدار الجامعية للنشر/ بيروت، لبنان سنة ١٩٩٤ م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تأليف / الإمام مصطفي صادق ألرافعي ط/ دار الكتاب العربي التاسعة سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م
- البرهان في علوم القرآن تأليف الإمام/ أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة/ الأولى سنة ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م الناشر/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
- تاج العروس من جواهر القاموس تأليف / محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي المتوفى سنة: ١٢٠٥هـ تحقيق / مجموعة من المحققين الناشر/ دار الهداية.

• تاريخ القُرْآن. تأليف / ثيودور نولدكه. ترجمة / عَبْد الـرَّحْمَن حـسن عَبْد الرَّحْمَن. الطبعة الأولى./ مطبعة حسان. بيروت، لبنان سنة: ١٩٩٢ م.

• التحرير والتنوير تأليف الإمام /محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ. الناشر / الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

• التصور الفني في القرآن تأليف الشيخ / سـيد قطـب إبـراهيم حـسين الشاربي المتوفى سنة ١٣٨٥هـ الناشر/ دار الـشروق الطبعـة: الـشرعية السابعة عشرة

• التعريفات تأليف / أبى الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّـد بـن عَلِـيّ الجرجـاني المعروف بالسيد الشريف. المتوفي سنة ٨١٦ هـ. تحقيق/ إبراهيم الأبياري. دار الكِتَاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى سنة: ١٤٠٥ هـ.

• تفسير القرآن العظيم تأليف / الإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمـر بـن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى سنة: ٧٧٤هـ تحقيـق / محمـد حسين شمس الدين الناشر/ دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى سنة – ١٤١٩ هـ،

• التفسير القرآني للقرآن تأليف الإمام / عبـد الكـريم يـونس الخطيـب المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ الناشر/ دار الفكر العربي – القاهرة

• تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة تأليف /محمـد بـن محمـد بـن محمود، أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة: ٣٣٣هـ تحقيـق / د. مجـدي باسلوم الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت، لبنـان الطبعـة/ الأولـي سـنة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

• تفسير المَنَار تَفْسِير القُرْآن الحكيم تأليف / السيد مُحَمَّد رَشِيد رِضا. المتوفى سنة ١٩٣٥ م. طبعة / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢سنة ــ ١٩٧٩ م.

• تفسير ألنسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الإمام / أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ حققه وخرج أحاديثه / يوسف علي بديوي راجعه وقدم له / محيي الدين ديب مستو الناشر/ دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

• جمهرة أشعار العرب تأليف / الإمام أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفى سنة: ١٧٠هـ. حققه وضبطه وزاد في شرحه/ علي محمد البجادي الناشر/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

• الزاهر في معاني كلمات الناس تأليف /محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري المتوفى سنة: ٣٢٨هـ تحقيق / د. حاتم صالح الضامن الناشر/ مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة / الأولى سنة ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

• سنن الترمذي تأليف / محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى المتوفى سنة: ٢٧٩هـ تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف الناشر/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تأليف الإمام / أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي المتوفى سنة ٣٩٣هـ. تحقيق/ أحمد عبد الغفور

عطار الناشر/ دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة سنة: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

• العبر في خبر من غبر تاليف / الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي المتوفى سنة: ٧٤٨هـ تحقيق / أبى هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت

• علم الجيولوجيا والقرآن الكريم. تأليف / موريس بوكاي. ترجمة/ رشوان غالب. الطبعة الثانية. الدار الأكاديمية. قطرسنة: ١٤١٢ هـ.

• فقه اللغة وسر العربية تأليف / الإمام عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة: ٤٢٩هـ تحقيق / عبد الرزاق المهدي الناشر/ إحياء التراث العربي الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

• الفن القصصي في القُرْآن الكَرِيم تأليف / مُحَمَّد أحمد خلف الله. الطبعة السادسة دار امريث للنشر. القاهرة سنة: ١٩٣٦ م.

• في الشعر الجاهلي. تأليف / الدكتور طه حسين. الطبعة الأولي دار المعارف بمصر سنة: ١٩٢٤ م.

المستشرقون تأليف / نجيب العفيفي الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر سنة: ١٩٨٥ ــ ١٩٨٧ م.

• القصص الحق تأليف / وهبة رشدي. تقديم / مُحَمَّد عمارة. الطبعة الأولى. دار البيان العربي. القاهرة.سنة: ١٩٩٢ م:

• القصص القُرْآني في منطوقه ومفهومه للشيخ / عبد الكريم الخطيب طبعة / بيروت، لبنان.

• قصص القرآن الكريم للأستاذ الدكتور / الرفاعي محمد عبيد أستاذ ورئيس قسم التفسير بكلية الدراسات الإسلامية بالمنصورة الطبعة الأولي سنة ١٤٢٨هـ سنة ٢٠٠٧م

• الكامل في التاريخ تأليف /الإمام أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري الناشر/ دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل تأليف الإمام / أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المتوفى سنة ٥٣٨هـ الناشر/ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة/ الثالثة سنة ١٤٠٧ هـ.

• لسان العرب تأليف الإمام / محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي المتوفى سنة ٧١١هـ. الناشر/ دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة سنة ١٤١٤ هـ.

• مجلة المعرفة موضوع " قيم الإسلام، الحوار والانفتاح علي العالم العدد ١٠١ شعبان سنة ١٤٢٤هـ

• محاسن التأويل تأليف الإمام /محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ تحقيق / محمد باسل عيون السود الناشر/ دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى سنة ١٤١٨ هـ.

• المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي ط/ دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة والوفاء بالمنصورة الثالثة سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

• المستدرك على الصحيحين تأليف / أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف

بابن البيع المتوفى سنة: ٤٠٥هـ تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة/ الأولى سنة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

• المستفاد من قصص القُرْآن للدعوة والدعاة. د. عبد الكريم زيدان. الطبعة الأولى. مؤسسة الرسالة. بيروت سنة: ١٩٩٧ م.

• المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ تأليف/ الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

• المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف الإمام / أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس المتوفى: نحو ٧٧٠هـ الناشر/ المكتبة العلمية – بيروت.

• معجم المؤلفين تاليف / الإمام عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي المتوفى سنة ١٤٠٨هـ الناشر/ مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت

• المعجزات القُرْآنيّة. تأليف / سعيد النورسي. ترجمة: إحسان قاسم الصالحي. الطبعة الأولى. العراق سنة: ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م.

• مفاتيح الغيب تأليف / الإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى سنة: ٦٠٦هـ. الناشر/ دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة/ الثالثة سنة ١٤٢٠ هـ

• المفردات في غريب القرآن تأليف الإمام / أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى المتوفى سنة ٥٠٢هـ تحقيق / صفوان عدنان الداودي الناشر/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

• منهج القرآن في تربية الرجال تأليف / عبد الرحمن عميرة نشر مكتبة ومطبعة/ عكاظ الأولي سنة: ١٤٠١هـ سنة ١٩٨١م.

• نظرات في أحسن القصص د/ محمد السيد الوكيل ط/ دار القلم بسوريا الأولي سنة ١٤١٥هـ

• نظرات في القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد الغزالي ط / دار الكتب الحديثة الطبعة الخامسة

• نهاية الأرب في فنون الأدب تأليف / الإمام أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري المتوفى سنة ٧٣٣هـ الناشر/ دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة/ الأولى سنة ١٤٢٣ هـ

• النهج القويم في دراسة علوم القرآن تأليف / الدكتور عبد الغني عوض ألراجحي ط/ ألبابي الحلبي بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات

اسم الموضوع	الصفحة
المقدمة:	٣
المبحث الأول: التعريف بالقصص القرآني وعلاقته بالتاريخ.	٧
المطلب الأول: تعريف القصص في اللغة والاصطلاح.	٩
المطلب الثاني: علاقة القصص القرآني بالتاريخ.	١٣
المبحث الثاني: أقسام القصص القرآني، ومقاصده، ومميزاته.	٢٣
المطلب الأول: أقسام القصص القرآني.	٢٥
المطلب الثاني: مقاصد القصص القرآني.	٣٢
المطلب الثالث: مميزات القصص القرآني عن القصص الأدبي.	٤٤
المبحث الثالث: أسلوب القرآن في ذكر القصص، و عناصر القصص القرآني، وآثار خضوعه للغرض الديني.	٥١
المطلب الأول: ذكر القرآن الكريم للقصة الواحدة في أكثر من سورة ووجه الحكمة في ذلك.	٥٣
المطلب الثاني: ذكر القرآن الكريم لبعض القصص في سورة واحدة ووجه الحكمة في ذلك.	٦٠
المطلب الثالث: عناصر القصص القرآني.	٦٣
المطلب الرابع: آثار خضوع القصص للغرض الديني.	٨٣
المبحث الخامس: دفع ما آثاره خصوم الإسلام حول قصص القرآن من شبهات.	٩٣
الخاتمة.	١١٨
المصادر والمراجع.	١٢٠
فهرس الموضوعات.	١٢٧